310

أنيس منصور

To someone special

Abeer

مُدرسَة الحُب



دار الشروق

كتابنا القادم

مزرعة البطيخ

أنيس منصور

مَدرَسَة الحُبّ

دار الشروق

قبل ان تحرج

كل ارتباط هو شيء متعب ..

سواء كان ارتباطك بانسان تحبه أو بانسان تكرهه . وربما كان ارتباطك بالذى تحبه يرهقك اكثر .. لأنك مرتبط به ومربوط فيه .. ولأنك قدرت منذ البداية أن تظل معه .. الى جواره فى المقعد او فى القراش ..

او الى جواره حتى يكبر اذا كان طفلا ، وحتى يموت اذا كان أبا أو أما . أو حتى تموت أنت اذا كانت زوجة ..

ولذلك فالصداقة كالعداوة : فأنت على صلة بشخص .. مشغول به .. تفكر فيه .. أو تعمل له حسابا ..

ولكن لأن الصداقة تحتاج منك الى تضحية ، فهى متعبة مرة اخرى .. فالشخص الصديق يجب أن تحرص عليه . وهذا الحرص يجعلك تبتلع له الغلط والسهو والقسوة عليك .

وهذه المتاعب فى الصداقة كالبذور فى الفاكهة .. كالشوك فى الوردة .. كأظافر القطة التى تحبها .. انها جزء من شروط الصداقة .. وعليك ان تقبلها .. لأنه لا حلاوة بغير نار .. ولا نار بغير دخان .. ولا لذة بلا تعب .. ولا عاطفة بلا قلق وخوف .. ولا حياة بلا صديق .. أو حبيب ..

واذا كانت هناك حياة وليس فيها أصدقاء فهى أقسى جدا من حياة بها كثير من الأصدقاء المتعبين ..

ويظل الانسان فى حياته يتقلب على جانبى النار والأرق والقلق والخوف واليأس والامل حتى يتكون له راى فى النهاية هو :

الصداقة كالعداوة شر لابد منه .. والحب والكراهية كالليل والنهار .. كالماء والنار .. كالشمس والظل .. كالحياة والموت ..

واروع العلاقات هى ما بين رجل وامراة ..

وهى اقسى العلاقات ايضا ..

فمن السهل ان تكون صديقا ، ومن الصعب أن تكون عشيقا ، واصعب من ذلك ان تكون زوجا ..

فكلما اقتربت أكثر تألمت أكثر ..

وكلما ارتبطت أكثر تعذبت أكثر ..

ولا يوجد هناك حل ..

فهذه مشكلة اختارها الانسان وفرضها المجتمع . وقد جرب الانسان فى حياته الطويلة على الأرض أشكالا أخرى من العلاقات الانسانية .. ولكن لأسباب غامضة اختار الزواج .. واقتنع به واقنع به الآخرين . وتضافرت قوانين الأرض والسماء من أجل ان يبقى الزواج هو الرباط الذى يمسك نوافذ البيت وابوابه وسقفه من اجل ان يلتف عدد من الناس حول مائدة واحدة .. او فى فراش واحد ، أو فى مواجهة حاضر ومستقبل ومنفعة مشتركة ..

ولكن هذا ليس دليلا على أن هذه سوف تكون حال الانسان فى المستقبل .. فالذى يفعله الشباب فى العالم كله ، ويفعله الرجال الناضجون فى السويد والدنمرك ، دليل على انه من الممكن أن تكون هناك سعادة بلا قيود .. أو تكون هناك أسرة بلا زواج ..

والدولة تقوم بما يقوم به الأب وتقوم به الأم ، من العناية والرعاية والانفاق على الأطفال .. الذين هم مصدر التعاسة والسعادة فى كل بيت .

وباسم هؤلاء الأطفال ارتكبت كل انواع الجرائم بحسن نية وسوء نية ..

والحياة مليئة بالتجارب والصدمات التى تجعل العاشق الولهان يفيق الى انه اختار شيئا غريبا .. وانه مخمور ، أو كان مخمورا .. ولابد ان يصحو .. فاذا أفاق فانه يجد الدنيا قد سحبت ألوانها وموسيقاها ويجد نفسه فجأة أمام شخص لا يعرفه .. أو لا يعرفه بدرجة كافية .. فكيف راى فتاته بهذا الجمال .. وكيف رآها قادرة على صنع المعجزات .

وأولى معجزاتها انها جعلته يتزوجها ، ولم يكن فى نيته ذلك..

وثانى معجزاتها أنها جعلته يختار معها فراشا واحدا .. وأن يقتسما كل ما فى الدنيا من هموم ولذات .. وثالث معجزاتها انه لم يكن يحتمل من احد ان يقول له كلمة واحدة ـ فليس لأحد عليه هذا الحق ـ اما الآن فيسمعها تقول فى وجهه ما لم يكن يتوقع منها فهى تراه : لا شيء .. لا وزن له .. لا قيمة له .. وان أى انسان احسن منه .. وأنها بزواجها منه خسرت كل شيء .. وانه خدعها وانه كذب عليها .. وضللها .. وانها دون سائر الفتيات لا تجد السعادة ولا الراحة .. ولا الكلمة ولا اللمسة ولا الهمسة .. وانه خير لهما أن ينفصلا .. وانه اذا كان شجاعا أو رجلا فليطلقها .. ولكنه لن يستطيع لأنه ليس رجلا ولا شجاعا .. وانها تعرف عشرات الفتيات كن يضربنه على قفاه .. وان من حقها ايضا ان تضربه على قفاه وعلى وجهه .. أليست مثل الفتيات الأخريات ؟ !

ويتغير أساوب اداء هذه اللعنات من بيت الى بيت .. ومن طبقة الى طبقة ..

ولكن المعنى فى كل البيوت وعند كل الأزواج واحد ..

والأزواج لا يقولون شيئا لأحد .. انها فضيحة صامتة ..

وبعد أن يسمع الزوج مثل هذا الكلام تتحقق المعجزة الرابعة وهى ان يبقى الى جوار الزوجة أيضا . لا لأن الذى قالته يعجبه .. ولا لأنه ضعيف .. ولا لأنه اعتاد الشتائم والهوان .. ألم تكن تضربه أمه وهو صغير .. ألم يكن يضربه المدرس .. اذن ، فليس غريبا أن تجيء زوجته وتضربه بالنيابة عن المجتمع وكما كان يفعل المجتمع أيضا ..

ولكن لأن الرجل ـ عادة ـ يرى أن نصف حياة المرأة فى لسانها والنصف الآخر فى دموعها .. وأن هذا الذى تقوله هو طبع فيها .. كما أن فى طبع القط ان يخربش والطيور الجارحة ان تسيل الدم .. أو فى طبع الأفعى أن تلدغ .. انه طبع فيها .. ولا حيلة لها .. ولا توجد لديها اية وسيلة أخرى للتعبير عن الغضب ..

ثم ان هذه هى طبيعة المرأة .. فان كنت لم تعرف المرأة ، فكيف ارتبطت بها ؟ انه من الواجب أن تعرف ذلك مقدما .. وأن تتوقعه .. وأن تعتاد عليه ..

فكل زوجة هى زوجة الفيلسوف سقراط .

ذلك الفيلسوف العظيم الذى يراه الناس كبيرا ، ولا تراه زوجته كذلك .. يراه النـــاس يغسل عقول النـــاس من الجهل والغباء ، وتجيء هى بطشت الغسيل وتلقى به على رأسه .. وكان سقراط يضحك ويقول : ان زوجتى كالسماء تبرق وترعد .. ثم تمطر بعد ذلك !

وفى هذا الحادث يرى كل الناس ما هو : الفرق بين الرجل وبين المـرأة ..

ويرون أن الهوان من نصيب من يختار المرأة ولا يعرف عيوبها أو يختارها ويتصور انه قادر على ان يجعل منها شيئا آخر غير الذى ارادته الطبيعة .. ومعنى ذلك ان يكون الها قادرا على تغيير أشكال العذاب والهوان والجحود التى اختارها الانسان عقابا له !!

ورغم ان هذا يحدث فى كل بيت وفى كل زمان ، فان الزواج لا يزال هو الشكل الذى ارتضاه الناس ليواجهوا به بعضهم البعض .

والناس فى مواجهة الناس : ممثلون .. كلهم يكذبون .. وكلهم يعرفون أنهم جميعا يواجهون البعض بوجوه اخرى واصوات اخرى وابتسامات أخرى .. فاذا عادوا الى بيوتهم انتقلوا من المسرح الى مقاعد المتفرجين الذين يتثاءبون .. لأنهم يعرفون المسرحية ولأنهم تعبوا من التمثيل بعضهم على بعض ..

والشىء الوحيد الذى ينعشهم هو الشجار .. هو الخناق .. هو التهديد بالطلاق والتهديد بالفضيحة قبل الطلاق ..

ويحدث ما يعرفه الناس فى كل بيت ، وان كانوا لا يجدون الشجاعة أن يصرحوا به .. أو يواجهون الناس به ..

وبعد ..

راى الكاتب الفرنسى الكبير « اندريه موروا » أن كل هذا يعرفه الناس . ولكن براعة النـاس هى كيف يخرجون من هذا المآزق . فليس من العبقرية أن تسجل على نفسك العار . ولكن العبقرية هى أن تحول العـار الى انتصـار . أو تتفادى وقوعه قبل أن يصعب عليك تغييره ..

ولذلك فقد تخيل « اندريه موروا » ما يشبه المدرسة يتعلم فيها الناس كيف يتصالحون فى اللحظة التى يمكن أن يمزقهم الخصام ..

فالذى يحدث فى الحيـاة الزوجية هو بالضبط كالذى يحدث فى محطات السكك الحديدية أو فى قواعد اطلاق الصواريخ . فأنت تستطيع بحركة صغيرا جدا أن تحول الخط الحديدى تحت عجلات القطار ، وبذلك يتجه يمينا بدلا من أن يتجه يسارا ..

وكذلك فى قواعد اطلاق الصواريخ : فهم يطلقون الصاروخ الذى يحمل المركبة القمرية فى مدار حول الارض ليكتسب قوة ..

ثم يقومون بتعديل مساره .. ثم يعدلون المسار مرة اخـرى .. لمـاذا ؟ ..

لأن الصاروخ يدور حول الأرض التى تدور ويتجه حول القمر الذى يدور أيضا .. فنحن أمام ثلاثة أشياء تتحرك وتدور بسرعات مختلفة وعلى مسافات مختلفة .. ولذلك يجب تعديل المسار حتى لا يذهب الصاروخ والمركبة القمرية الى الفضاء الساحق السحيق!!

ومن الممكن اجراء تجارب على ذلك ..

فكثيرا ما دارت مناقشـة عادية بين رجل وزوجته . وبسرعة تتحول المناقشة الى مناورة بالذخيرة الحية .. الى ضرب ..

كيف حدث ذلك ؟

حدث ما يحدث فى الريف : عندما يطلقون الاعيرة النارية فى الهواء فتصيب عن غير قصد انسانا .. أما كيف حدث ذلك فهو ان الذى يمسك البندقيـة قد أخطأ فى حملها وأبعد ماسورتها عن الذين وقفوا فوق الأشجار أو اسطح البيوت !!

ولو وقف انسان فى مكان الذى أطلق النار ثم غير وضع البندقية لانطلقت النار ، ولم تصب أحدا من الناس ..

انه ـ اذن ـ هذا التغيير الطفيف فى مسار النار ..

واذا عدنا بالحوار بين رجل وامرأة مرة أخرى .. ولكن بعد أن عدلنا فى وضع كل منهما .. وفى وجهة نظره .. وهدفه .. لانطلق الحديث دون أن يصيب أحدا من الناس .. ودون أن يصيب الزوجين ..

وفى محطة السكك الحديدية يسهل تغيير القضبان الحديدية تحت عجلات القطار ..

وفى محطات اطلاق الصواريخ يسهل أيضا تعديل المسار ..

ولأن الذى نغيره ليس الا أجهزة حديدية .. وليست لها عقول فهى تستجيب لعقولنا نحن ..

ولكن من الذى يستطيع أن يقوم بدور العقل بين اناس عاقلين ايضا . . ويرفضون أى تدخل من أحد . . أو انهم قد اتفقوا على أن يتواجهوا عراة فى غرفة . . يطلقون النار ويتلقونها فى نفس اللحظة . . ولا يزال اطلاق النار متبادلا بين الاثنين حتى يتم الطلاق او الفضيحة التى تؤدى الى الطلاق . . أو الحياة التى تجمع الزواج والكراهية فى وقت واحد . . فلا هى حياة مستقلة ولا هى حياة مشتركة . . ولكنها يأس من الاثنين أو عجز منهما !

من رأى الأديب الفرنسى اندريه موروا أن واحدا من الزوجين يجب أن ينسحب قليلا من هذا الجو المشتعل . . ويفكر بسرعة فى الأمر . . ويمد يده الى الآخر . . وفى هذه اللحظة يحدث تفريغ فى شحنة البيت . . تماما كما تتدلى الاسلاك من السيارة الى الارض لتمتص ما بها من شحنات كهربية . . أو كما تتدلى من العمارات العالية اسلاك من اعلاها الى الارض لنفس السبب . .

ولا تزال الصورة الجميلة الموجودة فى « القبة المسدسة » فى كنيسة القديس بطرس بروما والتى تصور كيف خلق الله العالم من اروع ما صنع الانسان . . ان الفنان ميكلو انجلو قد صور الله وقد مد يده . . وخرج من أصبعه العالم كله . .

ان قدرته التى لا حد لها عندما لمست « العدم » و « الفوضى » و « اللامعنى » و « الضياع » و « الخراب » تحول كل شىء بسرعة الى وجود ونظام ومعنى وهدف وامتلاء . . كل ذلك لان أصبعا فى يد قد امتدت الى الناحية الأخرى . .

وليست هذه الصفحات التالية الا سيرا وراء الاديب الفرنسى اندريه موروا ، مع شىء من التغيير الضرورى فى الخطوط الحديدية والمسارات التى أعدها ببراعة لكى يحلق كل زوجين بعيدا عن الدمار والخراب . .

انه ــ ايضا ــ يحاول ان يجعل المستحيل ممكنا .. وان يجعل الحياة محتملة .. وان يستمر فيها بلا هموم .. ما دام الانسان لا يعرف كيف يعيش وحده ..

والانسان حيوان انعزالى ، رغم أنف المجتمع ..
والانسان حيوان متزوج رغم انفه ، ورغم أنف المجتمع ايضا .

وليست هذه الصفحات الا محاولة لعقد صلح منفرد بين كل رجل وكل امراة ، قبل أن يواجها المجتمع فى ملابس الممثلين ..

فهذه الصفحات هى مناقشات داخلية فى فترة تغيير الملابس .

وكل انسان حر بعد ذلك ان يختار لنفسه ما يحدث بعد ذلك وما دام من المقدر له ان يعيش فليس له الا هذه الحياة .. وما دام من الصعب أن يكون ذئبا بريا يرتاد الغابات والقرى وحده ، فليست المشاركات المختلفة التى يقوم بها الانسان الا محاولة للتخفيف عن وحدته .. لا لكى يتخلص منها ، ولكن لكى يصبح قادرا على الاستمرار فيها .

فالانسان حيوان اجتماعى ، رغم أنفه .. بوجهه الحقيقى ، وفى جلده .

او بقناع مسرحى ، وفى جلد الحمل وهو ذئب ، أو فى جلد الذئب وهو حمل ، وفى ملابس الممثل وهو متفرج ، أو فى ملابس المتفرج وهو احد الضحايا على المسرح أو احد السفاحين ..

فالأمر من أوله لآخره لك .. ان شئت أو لم تشأ !

فهذه هى الحياة ، وليس لك الا هذا الشريك من البشر .. أى من لحمك ومن دمك ولا يريد الا لحمك ودمك أيضا !

انيس منصور

الفصل الأول

أحبك .. أحبك

« قاعة صغيرة فى احدى كليات الجامعة .. والطلبة يدخلون ويتحدثون بصوت مرتفع : الجرس يدق . يسكت الطلبة ويدخل الاستاذ .. »

الاستاذ : سيداتى سادتى : يبدو غريبا أن يحاضر أستاذ جامعى مثلى فى موضوعات الزواج والحياة الزوجية . فالناس عادة يتعلمون من الحياة ومن تجارب الآخرين .. ولكن الحياة تعلمنا ببطء ولذلك أرى أن تتفادى الوقوع فى أخطاء الآخرين . لن أطيل عليكم ، وسأجعل محاضراتى فى صورة غريبة غير مألوفة . سأجعل محاضراتى على هيئة مشاهد مسرحية فيها عظة وفيها فكاهة والفكاهة هى أحسن المربين وسأطلعكم هنا على ما يجب وما لا يجب أن تفعلوه فى حياتكم الزوجية المقبلة واليوم سندرس الخطوات السابقة على الزواج . سنستعرض الغزل وربما تخيلنا أن الشاب هو الذى يفوز بالفتاة ، والحقيقة أن الفتاة عن طريق الحب

والصداقة هى التى تفوز بالشاب ، وأنا أعلم أن العادة قد جرت منذ أقدم العصور على أن المـرأة هى التى تنتظر الرجل حتى يتقدم اليها . والحقيقة أن هـذا الانتظار المزعوم لم يكن موقفا سلبيا من جانب المرأة ولكن كما ينتظر العنكبوت فريسته من الذباب وليس هذا عيبا يا آنساتى فالمرأة من حقها أن تستدرج الرجل الى الزواج أقصد ذلك الرجل الذى تعتقد هى أنه يوفر لهما السعادة معا . وهى تعمد أحيانا الى المناورة بصورة ملتوية لتواجه الرجل الذى تدفعه الغيرة على حريته الى أن يشك فى المرأة ويقف منها موقفا دفاعيا .. ومفتاح الموقف عند الرجـل هو الكبرياء . . فكل الرجال متكبرون مغرورون وليس على المرأة الا أن تثير كبرياء الرجل وحينئذ ستكون النتيجة معروفة . فأى رجل مهما كان قبيحا ، مستعد أن يصدق دائما المرأة التى تقول له انه وسيم .. واليوم أريد أن أبين لكم أن أقصر طريق بين الصداقة والزواج هو مدى الاهتمام والاعجاب الذى تبديه المرأة لما يقوم به الرجل من أعمال ..

والآن أمامكم شخصيتان : الأولى فتاة واسمها ليلى وعمرها عشرون عاما وفى ريعان شبابها وشاب اسمه فريد وفى السابعة والعشرين من عمره . وفى هذا

المشهد الأول نجدهما فى الأجازة الصيفية على شاطىء البحر يتمددان على البلاج ...

« موسيقى تجيء من راديو صغير تحت احدى المظلات »

فــريد : أنت فتاة غريبة يا ليلى . لقد تركتنى أمس أرقد الى جوارك .. وكنت رائعة .. ولكنى اليوم أراك تتباعدين عنى ..

ليــلى : بل أنت الغريب . لقد كنت تغازلنى طوال الأسبوعين الماضيين .. ولا نتيجة .. ثم اقتربت منى .. وتمنيت أن أراك تقبلنى .. ولكنك لم تفعل .. ولم تقل شيئا .

فــريد : وماذا تريدين منى أن أقول .. انها ليست الكلمــات التى تنقصنى ..

ليــلى : اذن فنحن مختلفان يا فريد .. اننى فى حاجة الى الكلمات ثم ماذا أطلب منك أن تقول ، أن تقول انك تحبنى .. أريد هذا .. فكل حركاتك تدل على أنك تحبنى .. ومع ذلك لم تشأ أن تقول لى هذا .. لماذا ؟

فــريد : لأن هذه الكلمة تجف على لسانى .. الكلمة استهلكت .. لم يعد لها معنى .. الحب ؟ الحب .. هذا هــو ما تريدين أن أحدثك عنه .. أنا أعتقد أنك جميلة .. وأن وجهك جميل .. وأنك كالسيارة الفخمة .. وأنت الوحيدة فى كل البنات التى أحب أن أنظر اليها ..

دائما .. انني أجد متعة فى الجلوس اليك وحدك . .
هذا كل ما أريد أن أقوله . فأنا رجل مهندس وأصف
الأشياء بلباقة .. هل معنى هذا كله أننى أحبك ؟

ليلى : أنت انسان شاذ فعلا .. شاذ يا سيدى ليس هذا هو الحب .. انها خطوة أولى نحو الحب .. ولكنك لم تحدثنى الا عن جسمى .. الا عن الشىء الذى تسميه بالسيارة الفخمة ، أنا أعرف أنك مهندس ولكن لا أحب أن تنظر الى على أننى مجرد آلة .. سيارة صنعت بعناية .. فعندى عواطفى وأفكارى وأتمنى أن تفكر فيها أكثر من أى شىء آخر . وأكثر من هذا لا أحب أن تعانقنى هكذا لأن لقاءنا جاء صدفة .. ولأن السماء صافية ، ولأن النجوم تلمع ، ولأنك شاب فى الخامسة والعشرين .

فريد : « مقاطعا » فى السابعة والعشرين ، اذن أريد أن أعرف لأى سبب تريدين منى أن أعانقك وأقبلك ؟

ليلى : لأننى قلت شيئا أعجبك .. لأننا نشترك فى نفس المشاعر لأن مناظر الطبيعة قد هزتنا نحن الاثنين .. أو لأن احدى القصائد قد سحرتنا .. أو لأن مقطوعة موسيقية قد جعلتنا نحلم .. لهذه الأسباب وأنت تعلم أننى أحب أن أقبلك عندما تتكلم فى أشياء معينة تعجبنى .

فـريد : « فجأة وبدون اهتمام » وما هى ؟

ليـلى : عندما تتكلم بحماسةعن عملك . عن مشروعاتك. فأمس عندما جاء أبى يشكو من افلاس الشركة التى يعمـل فيها رددت عليه بخطبة قصيرة عن مستقبل الشركة وقد أعجبنى ذلك جدا .. فالطريقة التى شرحت بها فكرتك كانت رائعـة . وأنا لم أفهم بالطبع كل ما قلت عن الأرقام والاحصائيات . ومع ذلك أعجبنى كلامك .

فـريد : « مسرورا واثقا » اذن فأنت تحبين حديثى عن القوى الكهربائية ؟ حقا ؟ لم أكن أتصور ذلك أبدا .. اذن لقد استمعت الى كل كلامى فى صمت .. لقد كنت فى ضيق .. لأننى تصورت أن كلامى هذا لا يعجبك .. لأننى من الناس الذين يتكلمون عن تفاصيل كل شىء والآن اكتشفت عكس ما كنت أخاف .. لقد أعجبك كلامى .. وأنا مندهش ومسرور .

ليـلى : أنا أحب أن تشرح لى كل شىء .. فأنت تعرف الكثير وعندما تتحدث عنه يكون فى بساطة وسهولة . ولكن عندما يتحدث أبى فى السياسة أو فى القوى الكهربائية أشعر أننى غرقت وأننى لا أعرف لى رأسا من رجلين.. وفى اللحظة التى تتكلم فيها أنت .. أحس فورا أننى أطفو على وجه الماء وأنك أخذت بيدى .. وامتلأ قلبى بالطمأنينة فأنت أكثر ذكاء ووعيا .. انها نفس الطريقة

التى نستحم بها .. فعندما أكون وحدى أخاف أن تكتسحنى الأمواج الضخمة وعندما تضع يدك على كتفى لكى أبقى على السطح .. يتبدد الخوف بل أشعر بلذة غريبة وأتمنى لو حملتنا الأمواج معا .. الى مكان بعيد .

فـريد : فى المرة الماضية عندما ذهبنا بعيدا وأحسست بجسمك ملاصقا لجسمى أصابنى دوار البحر .

ليـلى : « فى تأثر شديد » : حبيبى الخجول فريد هل عرفت الآن تلك الأشياء الجميلة التى تستطيع أن تقولها اذا تركت نفسك على طبيعتها .. ومن أجل هذا سأتركك تقبلنى .. انتظر حتى أفتح المظلة .. حتى لا يرانا أحد « قبلة طويلة » .. احترس فقد يرانا واحد من هؤلاء ... ابتعد قليلا ... قليلا .. وحدثنى عن نفسك .. عن أحوالك .. ان هذا يثيرنى جدا ..

فـريد : « وقد اعتدل فى جلسته » : كيف أبدأ ؟ ومن أية زاوية .. ؟

ليـلى : من كل زاوية .. ما دامت المرأة تحب رجلا . فلا يهمها من أين يبدأ كلامه عن نفسه . أريد أن أعرف عنك كل شىء .. كلمنى .. قل لى .. عن طفولتك وأصدقائك .. فى المدرسة وعملك وأفكارك .. وطباعك وذوقك ..

وماذا ستعمل بعد نهاية هذه الاجازة .. أعطنى يدك .. وقل لى كل شىء .. يافريد قل لى ..

فــريد : بعد أن حصلت على الدبلوم .. وبعد أن انتهت مدة تمرينى سأقوم ببعض الأبحاث الصناعية .. وهذا شىء ممتع فستكون لدى فرصة لزيارة المؤسسات التجارية ستبعث بى الشركة الى الولايات المتحدة لأدرس توليد القوى الكهربائية .

ليــلى : جميل .. رائع . أنت سعيد الحظ عندما تسافر لأمريكا فأنا أعرف أمريكا كلها عن طريق الأفلام .. كم أتمنى أن أرى مخازن الأدوية ومحــال الجيلاتى بالصودا والسندوتشات وتلك الآلات الغريبة ذات الأجراس.

فــريد : « فى اهتمام » تعالى معى ...

ليــلى : ان أسرتى لا توافق على سفرى مع رجل ليس زوجى .. « صمت طويل »

الأستاذ : ولم يقع فريد فى المصيدة مع الأسف .. ولكن ليلى لن تيأس كما سترون فيما بعد . أنها ستحاول مرة أخرى .

* * *

ليــلى : اذن ستقوم أنت برحلات كثيرة هناك ..

فــريد : سأسافــر الى أمــريكا الجنوبية : الى فنزويلا ..

وجـواتيمالا وكولومبيا . . وبيرو . . وشـيلى . . والأرجنتين .. والبرازيل ..

ليـلى : اننى أحسدك .. اذن سترى مدينة بيرو الجميلة .. وسترى البيوت البرتغالية وسترقص الرومبا مع فتيات جميلات!.. وستمسك كل واحدة منهن بيدك وتقرأ الطالع فى يديك الجميلتين ..

فـريد : أبدا .. سأزور المناجم أكثر من زيارتى للآثار وأكثر من رؤيتى للفتيات .. وأنا أعتقد أننى سأحقق الكثير .. ليس لى ولكن لبلادى .. فنحن محبوبون هناك . . وسأحصل من المؤسسة التى أعمل بها على عقد لبنـاء مبان جديدة هناك . لا تقولى هذا لأحد .. فهو ما زال سرا ..

ليـلى : « بحماسة » ما أعظمك .. اننى أحبك حين تتحدث عن مثل هذه الأماكن .. وهذه المشروعات .. كيف تعرف كل هذه البلاد مع أنك لم ترها .. ؟

فـريد : « فى تواضع وكبرياء » لا أدرى .. لقـد أحببت الجغـرافيا دائما وكنت متفوقا فى هـذا العلم وفى الرياضيات .. وهذا هو السبب فى أننى حصلت على مراتب الشرف فى شهاداتى العلمية .. ولا فخر .. وهذا لا يحدث الا نادرا ..

ليــلى : بل اننى لم أسمع بهذا أبدا .. لقد كنت على حق عندما كتبت لأمى أقول لها انك انسان ممتاز .

فــريد : هل قلت هذا حقيقة ؟ شىء غريب .. لقد كتبت أنا أيضا الى أمى وقلت لها انك رائعة الجمال .. واننى لأول مرة فى حياتى أعثر على فتاة ليست جميلة فقط ولكن لديها احساس وذكاء وتفهم كل شىء بسهولة .. أريد أن أقول لك أنت شيئا اننى لست محبوبا من الفتيات .. وكنت أخشى أن تحدثنى واحدة منهن أكثر من اللازم ..

ليــلى : بل هذا هو أروع مافيك يا فريد لقد كنت مثلك . . . فعندما كنت تلميذة فى الجامعة كانت صديقتاى توتو وشوشو تقولان لى : لا تهتمى بالمثل العليا ولا تستهينى بالعلاقات المادية بين الناس .. فالرجل لا يهمه الا أن تكونى جميلة فقط .. هذا هو ما يفتح عين الرجــل ويفتح فمــه أيضا .. ولكننى لم أحاول أبدا ارضاء الرجال .

فــريد : « يقترب منها وتقترب منه .. ويلمس شعرها وتلامس هى وجهه » وهل أتممت دراستك ؟

ليــلى : نعم .. ولكنى ما أزال أدرس . وأريد أن أحصل على شهادة أخرى .

فــريد : « بصراحة » لا ..

ليـــلى : ولم لا ؟ لقد وافق أبى وأمى على ذلك ..

فــريد : « جادا » لا . لن تدرسى بعد اليوم

ليـــلى : أنت مجنون يافريد .. ولم لا ؟

فــريد : لأنك ستكونين زوجة ..

ليـــلى : أنا ؟ لم أفكر أبدا فى ذلك .. زوجة لمن ؟

فــريد : « بعزم وتصميم » لى أنا ..

* * *

الأستاذ : لعلكم لاحظتم كيف أنها وضعت له المصيدة واستدرجته حتى دخل فيها مرفوع الرأس منتصرا .. والنتيجة واضحة ولعلكم لاحظتم أيضا ما الذى يقوله الرجال عندما يتحدثون عن أنفسهم .. عن مشروعهم .. عن نجاحهم عن فشلهم .. والذى ينتصر هو الذى لا يسل بسهولة .. وأنا لا أنصح الفتاة أن تستخدم هـذا الأسلوب مع الرجل الذى تكرهه .. ولــكن مع الرجل الذى تحبه .. فاذا كان من رجال السياسة فيجب أن يدور الحديث كله عن السياسة وعن الناخبين وصـناديق الانتخـاب .. واذا كان الرجل فلاحا .. فالكلام كله يجب أن يدور حول الثروة الزراعية وآلات الحصاد واذا كان خبازا فيجب أن تقولى له : لا أحد يعرف مدى ما يعانيه أصحاب الأفران وعمال الأفران قدر

ما أعرفه أنا ... فقـد كنت أعمل فى أحد الأفران ..
وسيدخل السرور على نفسه ...

« ويدق الجرس »

والآن يجب أن نتوقف ... وفى المرة القـادمة
سنناقش شيئا آخر .. سنناقش شهر العسل ...

« يخرج الطلبة ويتهامسون وكل شيء هادىء بعد ذلك . وتبقى تلميذة واحدة .. وتتجه الى الاستاذ الذى يجمع أوراقه استعدادا للخروج »

التلميذة : « فى خجل » لا تؤاخذنى يا أستاذ ...

الأستاذ : اتفضلى . تحت أمرك .

التلميذة : هل تسمح لى بسؤال ؟ لا أدرى ان كنت تتذكرنى ففى العام الماضى كنت أستمع الى محاضراتك . اسمى فاطمة ...

الأستاذ : أذكرك جيدا .. فوجهك لا يمكن أن ينسـاه أحد .. أذكرك جيدا .

التلميذة : هل تعرف لماذا جئت الى الجامعة ؟ جئت لأستـمع اليك .

الأستاذ : أنا سعيد جدا .. وهل أعجبتك هذه المحاضرات .. ؟

التلميذة : طبعا . بكل تأكيد .. انهـا رائعة فيها ذكاء وعمق . هذا رأى كل الزملاء والزميلات هل أستطيع أن أوجه اليك سؤالا ؟

الأستاذ : اننى هنا للاجابة عن سؤالك ...

التلميذة : انه سؤال يختلف قليلا عن الأسئلة التى يوجهونها لك عادة . انه سؤال شخصى .. كيف تعرف كل هذه الأشياء عن النساء والزواج ؟ أنا أعتقد أنك متزوج .

الأستاذ : « مأخوذا » كنت متزوجا يا آنسة ..

التلميذة : آه .. آسفة .. اذن أنت رجل أرمل ..

الأستاذ : ليس بالضبط ان زوجتى هى التى تركتنى وأخيرا حصلت على الطلاق .

التلميذة : ليس من المعقــول أن تتركك أية امرأة ... اننى لا أستطيع أن أفهم كيف تركتك هــذه السيدة ... كيف تكفر بهذه النعمة النادرة لابد أنها مجنونة .

الأستاذ : أنا أعتقد ذلك ... لأن الحياة الزوجية صــعبة مع انسان يشغل نفسه بتحليل مشاعر الناس ومشاكلهم..

التلميذة : أنا متأكدة من أنها مجنونة .. قل لى هل أنت تكتب هذه المحاضرات بنفسك ؟

الأستاذ : طبعا يا آنسة .. ابتكرها وأمثلها أحيانا ..

التلميذة : انها ممتعة .. أنت عبقرى يا أستاذ ..

الأستاذ : عبقرى ؟ هذه كلمة كبيرة . وأنا أفضــل أن تقولى اننى رجل موهوب ..

التلميذة : أبدا أنت عبقرى ... عندى حق ... ان عملك أصعب بكثير جدا مما كان يقوم به شكسبير .. فهو يؤلف المواقف ويخلق المشاكل ويصنع العقد ويحلها .. ولكنك مختلف عنه جدا . فأنت تشرح الحياة من أولها لآخرها ... وبسهولة وروعة .. آه يا أستاذ لو تعلم ... لقد كنا مفتونين بك ... أثناء محاضراتك ...

الأستاذ : حقا .. أنا مندهش ...

التلميذة : أنت لا تعرف سحرك فى نفوسنا ، لا تعرف كيف يفعل صوتك العميق فى قلوبنا . اننى أعلم أنه لا يصح أن أقول لك مثل هذا الكلام .. ولكن لم أستطع . ومنذ لحظة كانت احدى صديقاتى تقول عنك .. انه من أكبر نعم الله على انسان أن يتزوج من رجل مثلك ولابد أنه متزوج ... وأخيرا سمعت منك أنك لست متزوجا ..

الأستاذ : لست متزوجا .. وبصراحة لن أعارض فى الزواج مرة أخرى وفكرت فيه كثيرا . ومن هى صديقتك هذه ؟ يبدو أنها ذكية ..

التلميذة : ومن تكون هى ؟ أنا أكتفى بهذا القدر من الكلام . لقد تحدثت اليك وهذا مصدر سعادة لى ولا أحب أن أضايقك فسعادتك هى سعادتى . وأحب أن أقول

لك .. انتى بلا صـــديقات وأن التى قالت عنك ان الزواج منك نعمة كبرى هى أنا .. فقد كان ذلك حديثا بينى وبين نفسى .

الأستاذ : غريب جدا وأغرب من ذلك أن أجدك جميلة . واذا كنت تعنين ما تقولين فلا مانع .

التلميذة : « وقد انفجرت ضاحكة » هذه هى النهاية ... لقد مثلت المشـــهد الذى وضـــعته أنت وقد وقعت فى المصيدة ..

الأستاذ : « فى ضـــيق وخجل » هـــذا يدل على أن أفكارى مفعولها أكيد ...

« موسيقى هادئة مرحة » .

الفصل الثاني

ليلة الزفاف

الأستاذ : سيداتى سادتى . البطـــل والبطلة مخطوبان الآن . ومرحلة الخطوبة بداية . وكل بداية صـــعبة وممتعة . ففى استطاعة الخطيبين الآن أن يكتشف كل منهمـــا الآخر . ويريد أن يخلو به دون أن تـــكون هنـــاك مشاكل . فالمشاكل تبدأ عادة بعد الزواج عندما يجد كل واحد من الاثنين نفسه مرتبطا بالآخر . ومع ذلك فهما فى عزلة .. ويعتقد كل منهما أنه قد عرف الآخر وفهم حقيقته .. مع أنهما لم يلتقيا الا فى ظروف مضللة من الغزل والملاطفة ... وستبين لهما الحياة الزوجية انهما مختلفان فعـــلا .. وأنا الآن أريد أن أبين لكم هذين الزوجين وقد ركبا القطار فى طريقهما لقضـــاء شهر العسل .

والمشـــهد الثـــانى ســيبين لكم كيف يتصرف العروسان بصورة خاطئة .

* * *

فــريد : « فى قلق » اركبى يا ليلى .. أسرعى ماذا تنتظرين على الرصيف لم يبق سوى ثلاث دقائق ... سيتحرك القطار .

ليــلى : لا تقلق سأستمع الى صفارة القطار ... اننى أنتظر صديقتى كريمة لقد وعدت أن تجىء لتوديعى ...

فــريد : ماذا تعنين .. طبعا أنت لم تطلبى الى كل صــديقاتك الحضور لتوديعك ... فأنت قد أرغمتنى على ألا أخبر أحدا من أصدقائى بموعد سفرنا ...

ليــلى : الأمر يختلف يا عزيزى .. فصــديقتى كريمة هى صديقة العمر . فقد كنا متلازمتين طوال حياتنا وكانت موضــع سرى دائما فهى تعرف عنى كل شىء انهــا ضميرى ، يا لها من مسكينة لقد كان زواجى صدمة لها اننى لا أجدها على الرصيف وربما تعــذر عليها أن تجد سيارة على الرصيف : احترسى من البـــاب .. تفضلى يا سيدتى .. هذا مقعدك .. تفضلى ..

« تدخل ليلى وهى تتنهد .. موسيقى واغنية على بلد المحبوب وصفير القطار وبخار وابواب القطار لها دوى واحتكاك العجلات له آزيز »

فــريد : « متعب ويتنهد » الحمد لله . نحن هنا معا مسافران

وبعيدان عن الأهـل والأصدقاء ، عنهم جميعا . كم أنا متعب ... وأكاد أموت من الجوع .. لقـد كانت مصيبة .. تصوري أنني سلمت على كل هؤلاء الناس الذين لا أعرفهـم ... انني أحبك يا ليـلى ولكن ، اسمحي لي أن أقول لك شيئا . . لقـد كان أبواك مضحكين .. ما الذي جعلهمـا يدعوان كل هؤلاء الأقارب من الفـلاحين وأولادهم ؟ من ذلك الرجل العجوز الذي قال لي بصوت حزين : اسعدها ياولدي اسعدها .

ليـلى : « ببرود وقرف » : انه عمي الذي يعيش في لبنـان وزوج خالتي سلوى . وأنت لمـاذا تكرهه الى هـذه الدرجة ؟ انه رجل مرموق .. لقد كان أستاذا للقانون بالجامعة ثم هل تتصور أن أهلك أحسن من أهلي ... وأنا أسألك عن الرجل ذي اللحية الذي قبلني بعنف ... ذلك القصير القميء الذي لم يصل رأسـه الى كتفي الا بصعوبة ومن هذا العم ؟ هذا الضابط العظيم الذي لم يكف عن قوله لي بصوت خافت : هـذا الابن تنقصه الطاعة والنظام فلا أخلاق عنده اضربيه يا ابنتي حتى يتعلم الأدب .

فـريد : « في حيرة وضيق » كل عائلة فيها نقطة ضعف ولكن

هذا الضابط العظيم كانت له أيام . لقد قدم لنا هدية مفيدة أما العقد الذى أهدته لك خالتك ..

ليـلى : ما عيبه ؟

فـريد : كله عيـوب . انه زائف ولا يتمشى مع الموضـة وشكله قبيح .

ليـلى : أنا لا أوافقك على هـذا أبدا ... انه عقـد أثرى ويتمشى مع الموضة .. فخالتى سلوى ليست غنيـة وأهدتنى هذا العقد لأنه أثمن ما تسلك الأسرة وله قيمة خاصة فقد تلقته أم جدتى من أحد المشهورين عندما كانت عشيقة له .

فـريد : « ساخرا » ما أروع هـذا التاريخ ... اننى فخور لأننى ناسبت عائلة كريمة لها هذه العلاقات المشهورة .. « ويتنهد » لقد كانت صديقتك .. أعتقد أن اسمها شريفة .. كانت رائعة ..

ليـلى : شريفة ؟ غريب أن تقول هـذا الكلام ... انها عادة تبدو جذابة .. غير أنها بدت الليلة مخيفة فى فستانها القصير وقبعتها الضخمة .

فـريد : ولكن القبعة السوداء كانت تتمشى مع شعرها الفاتح وفستانها القصير كشف عن ساقيها الجميلتين .

ليـــلى : هل تزوجتنى لتحدثنى عن جمال سيقان شريفة ولون شعرها اذا كنت تفكر فيها كثيرا الى هذه الدرجة فهى اذن الفتاة التى كان يجب أن تختارها . على كل حال ما يزال هناك متسع من الوقت ..

فـــريد : ما هـــذا الكلام السخيف .. اننى متعب يا ليـــلى ولا أستطيع الاستمرار فى هذه المناقشة .

ليـــلى : سمعت هـــذا الكلام قبل ذلك ... فهمت ... انك تعبان وأنك جوعان .. فماذا تعرف عن شعورى أنا ؟

فـــريد : أعتقد انه نفس شعورى ... تعالى هنا يا ليلى . اننا لا نريد أن نحول الساعة الأولى من شهر العسل الى معركة ... تعالى هنا واجلسى بالقرب منى ...

ليـــلى : لا أريد ذلك فى هذه اللحظة ... وأنت كيف تتصور أن هـــذا الاحتفال الصغير الذى أقيم اليوم يعطيك الحق فى أن تملى رغباتك على ... فأتحرك وأتكلم كما تشاء .

فـــريد : « بعزم ووقاحة » طبقـــا لقوانين الزواج أقول لك اننى أمارس بعض حقوقى .

ليـــلى : أنت وقح لقد كان قريبك ... هذا الضابط العظيم على حق عندما قال انك قليل الأدب ... وأحب أن أقول لك شيئا ينفعك فى المستقبل ... ان الذى له

أهمية فى الزواج هو الحب وليست حقوق الزوجية .

فــريد : « متعبــا ولا يريد أن ينــاقش » معك حــق ..
« ويتنهد » انتهى كل شيء .

ليــلى : ماذا تقصد ... ؟

فــريد :أقصد أننا تزوجنا أخيرا .. هل تعرفين ماذا كان رد برنارد شو عن سبب تعاسة الزواج فى يوم الجمعة ..؟

ليــلى : لا أريد أن أعرف .

فــريد : لقد كان رده .. « ولماذا يوم الجمعة فقط » أليس رده هذا بارعا ..

ليــلى : اننى أراه سخيفا على كل حال لم تتزوج يوم الجمعة وانما تزوجنا يوم الاثنين .

فــريد : أنت فتاة مسكينة ليس لديك أى ادراك للنكتة .

ليــلى : « تبكى » يا ربى .. لماذا جعلتنى أركب هذا القطار وأكون وحدى بعيــدا عن أهلى مع رجل لا أعرفه « تستمر فى البكاء » .

« والقت ليلى بنفسها على مقعد بعيد عن زوجها »

* * *

الأستاذ : والآن بعد أن رأيتم هذا المشهد بكل لحظاته سأريكم كيف يتصرف الزوجان فى هذا الموقف على نحو سليم .
« نفس اليوم . نفس العربة نفس العروسين » .

فـريد : الحمد لله فرغنا من كل شيء ... ونحن الآن معا مدى الحياة انني سعيد يا ليلى سعيد جدا .

ليـلى : وأنا كذلك يا فريد ... وأعتقد أننـا سنظل مدى الحياة سعيدين .

فـريد : أعطيني يدك يا حبيبتي ... انها صغيرة ناعمة .. انها يد امرأة من الرائع حقا أن أتمكن من امساك يدك عندما أريد أو عندما تريدين أنت .

ليـلى : أريد ذلك دائما ..

فـريد : دائما ؟ من يدري .. احترسي يا حبيبتي .. احترسي ... لا يجب أن نغري الشيطان بالدخول بيننا .

ليـلى : وهل تعتقد في وجود الشيطان ؟

فـريد : طبعا ألا ترينه واقفا هناك بعيدا يرقبنا ؟ ان الشيطان يفسد دائما ما بين المحبين انه يستخدم أساليب غريبة من الاغراء يلقي بها في طريقهم .

ليـلى : أعتقد أنه يضيع وقته معي .. فسأكون مخلصة لدرجة تضايقك أنت وتضايقه هو ..

فـريد : دعيني أقبل شفتيك قبل أن تنطقا بوعد آخر . لاتقلقي فالشيطان في هذه اللحظة مشغول بالنظر الى الأسلاك التلغرافية بيني وبينك . وهو يحاول أن يفك رموز

هـذه الرسائل التى أبعث بها اليك « يتعـانقان »
ما أروع أن نظل هكذا يقبل كل منا الآخر .. اننى
لا أريد منك أن تكونى مخلصة بالمعنى القانونى انما
أريد أن تحرصى على حبك وأريد أن تكونى لى ...
لأن هذه رغبتك ورغبتى ..

ليـلى : ولكنى يا عزيزى أكثر منـك دقة فى التعبير ... فأنا كنت أحدثك عن نفسى ... وأقول لك كلاما معنـاه أننى تزوجتك مـدى الحياة وأنا اخترتك ... ولن أحاول فى المستقبل أن أجد رجلا آخر غيرك يسعدنى .. وانما أنا أسعد الرجل الذى اخترته . هل فهمت كلامى ؟

فـريد : اذا مضيت تنطقين بهذه الأفكار الجميلة فلن أتوقف عن تقبيلك . والآن أنت تعرفين ماذا سيحدث ؟ هل ستتكلمين مرة أخرى ؟

ليـلى : ان هـذا لا يزعجنى أبدا ... اننى أحب قبـلاتك الطويلة .. قبلات هوليوود والعيون مقفلة .

فـريد : ولماذا مقفلة ؟

ليـلى : يكون للقبلة طعم أجمل ... « يتعانقان » أوه ... بالضبط هكذا ...

فـريد : انتظرى ستكون لنا قبلات خاصة ... سنخترع نوعا من القبلات لا يعرفه أحد .. لقد كان زفافا جميـلا . أليس كذلك ؟ وأبواك كانا فاتنين ... كأنهما شابان أو صديقان ... لا مجرد اثنين من أقاربنا ... وقـد أعجبنى أن أباك هو الآخر مهندس مثلى .. وأعجبتنى خالتك العجوز لقد كانت ترتجف وهى تقدم هديتها لك .. هذا العقد الثمين ..

ليـلى : ولكنه مع ذلك شاعرى ، لقد تلقت أجمل فتـاة فى الأسرة أثمن هدية ... وقد لاحظت أنها تحدثت إليك همسا عن الأهمية الخاصة لهذا العقد ويبـدو أن له قصة عاطفية غامضة وربما كان الشخص الوحيـد الذى بدا مخيفا فى هذا الحفل هو صديقتك شريفة .. فهى بهذا الريش الأسـود الضخم فى قبعتها وهـذا الفستان الغريب لم تكن تبدو متمشية مع سنها . من المؤسف أن تبدو شريفة هكذا .. مع أنها عادة تبـدو جذابة الا اليوم .

ليـلى : « مسرورة » وكان منظرها كئيبا ... مسكينة ... انها فتاة لطيفة .. ولكنها لا تعرف كيف تختار ملابسها .

فـريد : بل ذوقها غريب فى اختيار ملابسها .. أما أنت فقـد كنت حلما فى فستان الزفاف .. لم أرك أبدا أروع من

هذا اليوم .. فستانك وطرحتك ومشيتك وابتسامتك .. لا يمكن أن أنساها .

ليــلى : أوه اننى مسرورة جدا .. فقد كنت قلقة لأنك لم تقل لى شيئا عن هذا كله .. وخشيت ألا يعجبك هــذا الفستان .. لقد تعبت كثيرا فى اختيار هذا الفستان . ولكن ألا ترى أن الجونلة قصيرة قليلا ؟

فــريد : لا .. فأنت انما تتمشين مع الموضة ، ان الموضة واجب اجتماعى .

ليــلى : ما ألطفك يا فريد .. انك ألطف مما كنت أتصور ..

فــريد : اذن تعالى هنا .. أريد أن أشعر بك بين ذراعى ..

ليــلى : حبيبى .. أريد أن اعترف بشىء .. لقد تمنيت أن أكون بين ذراعيك فى الخمس دقائق الماضية .

فــريد : لا داعى لليأس يا حبيبتى .. تعالى وضعى فتنتك بين ذراعى يا حبيبتى ..

ليــلى : لم أكن أعرف أنك شاعر يا فريد ..

فــريد : أوه .. سترين كثيرا من هــذا فى مناسبات خاصة .. وسأضع لهذا الشعر موسيقى .. لقد ضاقت أسرتى بكل هذه المواهب . تعالى يا حبيبتى .. ضعى فمــك بالقرب من فمى ودعينا نحلم .. ونصعد معا جبلا عاليا

.. وسأضحك .. سأضحك وتصعدين أنت أمامى على
جبل عال .. يا حبيبتى ..

ليـلى : ولكن هذا شعر منثور .. وهل تنظم الشعر أيضا ..؟

فـريد : طبعا .. طبعا .. ولكن الحرص هو الذى جعلنى أنشره
تحت اسم مستعار هو : فيكتور هيجو .

ليـلى : أنت تداعبنى يا شاعرى .. يجب أن تعرف أننى لم
أقرأ شعرا فى حياتى .. لا أعرف الشعراء القدامى ..
أعرف الشعراء المعاصرين .. هات قبـلة مرة أخرى
واجعلنى بين ذراعيك .

* * *

الأستاذ : وقد أطفىء المصباح ودخل ضوء القمر من النوافذ
وصوت العجلات يهز النائمين .

« الجرس يدق... موسيقى يخرج الطلبة يتهامسون ويضحكون »

الفصل الثالث

شهر العسل

الأستاذ : سيداتى وسادتى . مضت الآن ثمانية أيام . وسنجد العروسين فى غرفة فى أحد الفنادق والمدينة التى يعيشان فيها اسمها لا يهم . ولكن فى استطاعتنا أن نقول انها مدينة ليست جميلة . والفندق ليس من الدرجة الأولى . ويمكن أن يصبح جنة فهذا يتوقف على مزاج العروسين . فشهر العسل كنجم من النجوم يتألق دائما . ولا يستقر اطلاقا ولكن من الممكن أن يتحول من بدر الى محاق .. لماذا ؟ لأن طباع العروسين من الممكن أن تجعل أيام العسل شقية تعيسة ، ووظيفة الرجل الحقيقية هى أن يعمل كمهندس أو كبناء أو أى عمل آخر . وفى خلال هذه الأسابيع الأولى من الزواج ولأنه فى حالة هيام عاطفى فهو يحاول أن يعتقد دائما أن الحب والهيام وحده يجب أن يشغل كل وقته ليلا

ونهارا . فهو يرفض أن يعترف بأن الملل قد تسرب الى نفسه . وعندما تشكو زوجته من التعب ، يرد عليها بأنه هو الآخر مسكين لأنه تزوج امرأة مريضة ، بينما يجب أن تعترف هى بأن الحياة معه ليست كما كانت تتصور .. وهذه الخلافات بين الزوجين ليست خطيرة دائما وانما يمكن حلها بسهولة وبشىء من العتـاب اللطيف ، وعلى الرغم من هذا كله يجب أن يكون هناك رغبة حقيقية للتفاهم المتبادل بين الزوجين ، فاذا لم يكن هناك حسن نية فان حياة هذين الشابين ستصبح مهددة بالغرق قبل أن يغادرا أول ميناء فى حياتهما الطويلة .. وكما هى العادة سأعرض لكم هنا هذا الموقف .. وسنبدأ شهر العسل الأسود .

« غرفة فى فندق . ستائر حمراء مرفوعة ممزقة . سريران كل منهما مغطى بمفرش أبيض ، الشمس طالعة ومع ذلك فالمصـابيح ما تزال مضاءة .. وليلى ترتدى البيجاما وعلى جبينها قطرات من العرق وهى مستلقية على السرير . فريد ارتدى كل ملابسه يروح ويجىء فى الغرفة كأنه أسد فى القفص . ومن حين الى حين تسـمع صفارة قطار قريب وفى الغرفة المجاورة يسمع صوت بيانو . انها طفلة صغيرة تعزف لحن حبيبى الاسمر . »

ليـلى : فريد .. أرجوك أن تتوقف عن الحركة فى الغرفة كدت أدوخ يا فريد .. لا تنس أن عندى صداعا شديدا .

فـريد : أليس من الأفضل أن أخرج من الغرفة ؟ أريد أن أخرج ولو قليـلا .. كيف .. انك لا تستطيعين السير على قدميك .. ولا أريد أن أتركك هنا وحدك ..

ليـــلى : أنا لا أستطيع المشى ؟ من قال هذا ؟ .. لقـــد تعودت المشى وأحببته أيضا .. هل تذكر عند ما كنت تمشى مسافات طويلة على الصخور .. ثم ألا تعلم أننى لست فى حالتى الطبيعية الآن . ويظهر أنك لم تدرك بعد أن نزهتى معك قد غيرت كل حياتى وأنا متعبة الآن .. لم أنم طوال هذا الأسبوع .

فـــريد : وأنا هل تظنين أننى قد ذقت طعم النوم .. وكيف أنام الى جوار امرأة لا تكف عن البكاء ، والى جانب طفلة لا تكف عن العزف السخيف ، وصوت عجلات القطار.

ليـــلى : بل أنت نمت نوما عميقا .. وكان لنومك أصوات عالية .. كان لك شخير ..

فـــريد : أنت واهمة .. أنت تحلمين .. اننى لا أشخر أبدا ..

ليـــلى : وكيف تعرف ذلك ..

فـــريد : هل تظنين أنك المرأة الوحيدة التى نامت الى جوارى .. فلو كنت أشخر فى نومى لأخبرنى بذلك نســاء أخريات قبلك ..

ليـــلى : أنت وقح ، حيوان ، اننى لم أكن ساذجة الى الدرجة التى أتوهم فيها أنك لم تقع فى حب فتاة أخرى غيرى ولم أكن أتصور أبدا أن وقاحتك قـــد وصلت الى الدرجة التى تباهى فيها بمثل هذه العلاقات .. وفى شهر العسل ..

فـريد : أنا آسف يا ليلى .. لقد أخطأت فيما قلت .. ولكن أنا معذور فقد اضطرب كل شيء فى حياتنا هذه الأيام . فنحن نريد أن نسافر .. ولكنك مريضة فماذا كانت النتيجة ، البقاء فى هذه المدينة بل السجن فى هذه المدينة الغريبة .. وكل ما أعمله هو أن أجرى من هنا وهناك أحجز تذاكر .. أو ألغى تذاكر السفر وفى نفس الوقت أتلقى خطابات من الشركة تطلب منى العودة فورا .. واليوم سمعت .. واليوم فقط سمعت أن أحد زملائى فى الشركة قد سبقنى الى التعاقد مع شركة أخرى .. كنت حريصا على العمل فيها وهذا هو سبب ضيقى ومللى فاعذرينى .. فلو أننى أنجزت أى عمل من أعمالى ما كانت هذه حالتى ولا هذه حالتك أيضا .

ليـلى : أنت تريد أن تعمل ؟ هنا ؟ وفى شهر العسل ؟ لا تقل لى ذلك يا فريد .

فـريد : لا أخفى عنـــك أننى جئت ومعى بعض الأوراق والدوسيهات فى حقيبتى ولا بد أن أقرأها جميعا وأن أبعث الى الشركة برأيى فيها .

ليـلى : حسنا « فى يأس واستسلام » .. أقرأها .. ولماذا لم تقل لى أنك تريد أن تعمل ؟ استمع الى مرة أخرى .. بل مرة أخيرة .. يجب أن تفهم يا فريد أننى أريد أن

أشاركك فى كل حياتك .. سواء كان عملك أو لهوك.. اجلس .. الآن واقرأ .. وتصفح أوراقك .. ولن أنطق بكلمة واحدة .. اننى أحب أن أراك وأنت تعمل ..

فـــريد : « مسرورا » أشكرك يا حبيبتى ليلى . لم أكن أتوقع هذا أبدا .. لم أتوقع أن تكونى لطيفة مسالمة هكذا .. على كل حال سأفرغ من عملى هذا قبل الغداء .. وبعد ذلك ستجديننى انسانا طيبا .. ما يزال يحبك .. بل سأكون انسانا آخر .

« يفتح احد الدوسيهات ويسحب منضدة ومقعـــدا ويشرع فى القراءة .. صمت .. عجلات القطارات ما تزال تدوى .. الطفلة لا تزال تعزف موسيقى حبيبى الاسمر » .

ليـــلى : فريد .

فـــريد : « مضطربا » ماذا حدث ؟

ليـــلى : هل أستطيع مساعدتك ؟

فـــريد : « فى ضيق » لا يا حبيبتى ان هذا العمل سيضايقك ويبكيك ولن تفهمى منه شيئا على الاطلاق .

ليـــلى : سأفهم اذا أنت شرحت لى ذلك . فعند ما كنا مخطوبين كنت تجد لذة فىشرح كل المشكلات العلميةوالسياسية .. وستجدنى قادرة على مساعدتك . واذا كنت تريد منى أن أرسم لك وأقوم بتسطير هذه الصفحات لك

فسأعمل هذا فورا وبدقة تامة .. وأنا فى أيام المدرسة كنت متفوقة فى الرسم .

فـــريد : هذه الرسوم موجودة عندى .. جاهزة .. والخرائط التى أحتاج اليها موجودة أيضا وأنت فى حاجة الى الراحة .. وأنا لست فى حاجة الى مساعدتك .. والشيء الوحيد الذى أريده منك هو أن تسكتى ..

« صمت .. صوت القطارات .. صوت البيانو .. تاوهات عالية وبكاء ودموع .. انها ليلى »

فـــريد : « يرفع رأسه عن الورق » ماذا فعلت الآن يا ناس ؟ هل كان مقدرا لى أن أتزوج نافورة دموع .. نافورة وليست امرأة .. ماذا حدث يا ست ليلى ؟

ليـــلى : « تبكى » ماذا حدث ؟ واضح جدا ما حدث .. أنت لا تحبنى ولا تريد منى أن أشاركك فى حيـــاتك .. وعند ما تذهب الى قضاء شهر العسل تحضر معـــك أوراقك ودوسيهاتك وترفض أية مساعدة منى .. أنت تعاملنى كمـــا لو كنت بلهاء تحـــدثنى عن عشـــيقاتك السابقات .. اسمع يا فريد ربما تعتقد أن السفر مع امرأة حتى ولو كانت زوجتك مسألة عادية ولكننى لا أرى ذلك مطلقا .. لقد تخيلت أن هذين الأسبوعين ســـيكونان أحسن أيام حياتى . لقـــد انتظرت هذين الأسبوعين ســـنوات وتمنيت أن أجعل من هـــذين

الأسبوعين شيئا فنيا .. فيهما حنـــان نادر .. أنا على يقين من أن كلامى هذا يبدو سخيفا .. لأنك رجل لك عملك وأبحـاثك ومشاريعك وطموحك ومستقبلك أما أنا فلم يسعدنى الحظ أن أكون قادرة على الابداع مثلك .. فلدى عملى كزوجة وأنا أريد أن أؤدى هذا العمل باتقان .. وأنت جعلتنى الآن أشعر بأننى ضائعة ولا فائدة من وجودى معك ..

فـــريد : « متجها اليها فى سريرها » تعالى بين ذراعى .. أنا أعلم أننى جاف وخشن يا ليلى ولذلك أرجوك أن تسامحينى .. سأفعل كل ما تريدين . . وأتمنى أن أعرف ماذا تريدين .. هل يسرك أن أقضى اليوم كله فى هــذه الحجرة الكبيرة ألعب فى أصابعى .. أنا على استعداد أن أفعل ذلك اذا أردت .. أم أنك تريدين منى أن أضع يدك فى يدى وأظل طول الوقت أروى لك ما أحفظه من الشعر .

ليـــلى : «بابتسامة ساخرة» لا . أشكرك ان برنامجك الشعرى محدود وقد حفظته أنا عن ظهر قلب .. اننى الآن أحسن حالا . هيا بنا نخرج لنستنشق الهواء ولن أتمكن من السير مسافة طويلة وفى استطاعتنا أن نركب التاكسى الى الحديقة المجاورة .. أريد أن أجلس الى جوارك

يا فريد تحت الأشجار وتترك الفرصة أمام خادم الفندق لكى ينظف الغرفة .. هيا بنا يا حبيبى .

الأستاذ : وركب الاثنان التاكسى .. وتحولت دموعها الى ابتسامة وأشرقت الشمس بعد المطر كأن السماء هى الأخرى قد اعتدل مزاجها .. وفى الحديقة كانت ليلى تتمشى وقد مالت على ذراع فريد .. وحولهما الأطفال يلعبون .. والمراكب الشراعية تروح وتجىء على سطح النيل .

* * *

ليلى : أليس هذا منظرا جميلا يا فريد .. لقد كنت حمقاء حين ظللت كل هذه الأيام فى غرفة مقفلة ... يا مصيبتى ؟ أين خاتمى ؟

فريد : ماذا تقولين ؟

ليلى : لقد نسيت خاتمى فى الفندق .. انظر . انه ليس فى أصبعى.. هل تذكر أننى خلعته من اصبعى لأغسل يدى وتركته على الحوض فى الحمام . ؟ لا تكن هكذا مضحكا .. سنجده فى مكان ما يا فريد ..

فريد « غاضبا » كيف تتكلمين بهذه اللهجة دون أى اهتمام . . ان آبائى كلهم من الفقراء وقد أرهقهم العمل واقتصدوا فى قوتهم وجمعوا المال ليشتروا لك هذا الخاتم .. ومع هذا كله تتكلمين بهدوء وتقولين :

سنجده .. فى مكانه .. يا فريد . أؤكد أنك لن تجدى هذا الخاتم .. لقد ضاع ..

ليـلى : أنا متأكدة أننى سأجده .. ان الخادم فى اللوكاندة أمين .. وحتى لو لم يكن أمينا فانه يعلم أنه عند ما تقع فى غرفتى أية سرقة فستقع المسئولية على رأسه .

فـريد : « مقاطعا » هيا بنا الى اللوكاندة ..

ليـلى : لماذا ؟ ان الجو هنا جميل .. دعنا نستمتع بالشمس .. انها لن تبقى طويلا .. وعلى أى حال فاذا عدنا مباشرة الى الفندق فان هذا لن يغير من الموقف شيئا .

فـريد : أنت مجنونة .. أنت لا تعرفين أهمية هذا الخاتم .. يا ناس ماذا سيحدث بعد ذلك .. لقد كان الخاتم ثمينا وأثريا .

ليـلى : « ببرود » انه خاتم خطوبتى أولا وأخيرا ؟

فـريد : يا عزيزتى انه ليس ملكا لك وحدك .. انه ملكيةعامة .

ليـلى : « ببرود » ملكية عامة .. هيا بنا الى الفندق .. فليس .. عندى أية رغبة فى البقاء هنا .. لقد توهمت أنك أعطيتنى هذا الخاتم رمزا لحبك ولكن ما دمت ترى أنه ملكية عامة .. فلن أضعه فى أصبعى بعد اليوم .. ضعه أنت فىخزانة أحد البنوك حتى يهدأ خاطرك .. هيا بنا..

فـريد : انتظرى .. سأبحث عن تاكسى ...

ليـلى : لا داعى .. سنمشى على أقدامنا لم يعد يهمنى أى شىء ما دام مصيرى سيكون هكذا البقية الباقية من عمرى.

* * *

الأستاذ : وهذه هى العقبة الأولى .. انها عقبة خطيرة أمام شابين من السهل أن تؤدى الى كارثة .. كارثة مؤكدة . . ولكن عند ما يبذل كل من الطرفين مجهودا ولو قليلا فان هذه الكارثة تتحول الى عتاب عابر .. ولا شك أنكم توافقوننى على هذا عند ما ترون كيف يجب أن يقضى الشابان شهر العسل .. والآن أمامنا نفس العروسين .. ونفس المناظر .. والساعة التاسعة صباحا. وليلى فى الفراش وفريد عارى الصدر ويلبس بنطلون البيجاما ويحلق لحيته أمام المرآة وصفير القطار ينطلق من حين الى حين .. وصدى البيانو فى الغرفة المجاورة .. ويبدو أن طفلة صغيرة تعزف « حبيبى الأسمر » بصورة رديئة .

ليـلى : « فى سرور واستطلاع » هل تحلق لحيتك كل يوم يا فريد ؟

فـريد : طبعا يا صغيرتى .

ليـلى : ما هذه العلامة الحمراء على ظهرك ؟ لم ألاحظها .

فـريد : انها شظية قنبلة أصابتنى منذ بضع سنوات ولا يمكن

ملاحظتها الا بصعوبة الآن .. وأنت لماذا تنظرين هناك ؟

ليلى : لا شىء يا حبيبى .. انما أريد أن أتطلع اليك فهذه هى المرة الأولى التى أرى فيها رجلا يحلق لحيته ..

فريد : « ملتفتا اليها » أستطيع أن أرى جانبا منك فى المرآة .. اننى أراك جميلة فى هذا السرير الكبير كأنك قطة فارسية ..

ليلى : وهل أنا « أنو نو » كالقطة ؟

فريد : أعتقد ذلك .. وسأجىء اليك لكى أتأكد من هذا .

ليلى : ان أحدا لم يطلب منك ذلك يا سيدى ..

فريد : اذن لن أجىء .

ليلى : تعال هنا وأرنى كيف تداعبنى . تعال هنا الى السرير .. دقيقة واحدة .. أريد أن أستلقى برأسى على صدرك وأفكر وأقول : هذا الجسم القوى الجميل .. هذه البشرة الناعمة .. هذا الشعر المعطر .. كل هـذا هو زوجى .. هـذه غرفة جميلة ألا ترى ذلك ؟ وهـذا سرير ضخم .. ماذا يسميه الايطاليون فى بلادهم ..

فريد : يسمونه سرير الزوجية ..

ليلى : هل تعرف أننى أحب حتى هذه الستائر .. وهـذا البساط الممزق .. وهذه الأوراق الباهتة التى تغطى الجدران .. انها جميعا تجعل الغرفة دافئة ومحببة حتى

ليخيل للانسان أنه فى بيته . . فأنا أشـعر كأننى كنت زوجة لك طول حياتى .. ألا ترى أنه شىء رائع أن نكون نحن الاثنان متفاهمين فى كل شىء ..

فـريد : لقد خلق كل منا للآخر يا حبيبتى .. هل تسمعين صوت القطارات .. ان المحطة قريبة جدا من هنا ..

ليـلى : اننى أحب صوت القطارات .. صفير القطارات . . صفير القطارات .. وعجلات القطارات .. والفتاة التى لا تزال تعزف .. كل هذا أحبه ..

فـريد : ان فكرتك عن الجنة هى غرفة بجوار المحطة وطفـل يبيع الجرائد بصوت مرتفع ومهنـدس فى أجازة فى استطاعتك أن تجعلى منه وسادة تحت رأسك ..

ليـلى : هذا ما أريد .. ألا يعجبك أنت أيضا ؟

فـريد : طبعا يا حبيبتى .. ولكن بدلا من هذا المهندس .. أريد زوجة جميلة .. «لها جمال يستدرج النوم الى العين».

ليـلى : انك يا فريد تحب أن تقتبس كثيرا من أقوال الشعراء .

فـريد : هذا صحيح فهم يكملون حبنا بتجاربهم عن الحب فى جميع العصور .

ليـلى : لقد أصبحت مفكرا عميقـا يا عزيزى الفيلسوف .. أعطنى قبلة من قبلاتنا الخاصة ..

فريد : « يقبلها » انها ممتازة يا حبيبتى واذا ظللت هكذا فستقضى يوما كاملا فى هذه الغرفة .. اذن انهضى الآن من الفراش .. أريد أن أذهب معك لمشاهدة بعض الأماكن الأثرية .

ليلى : خمس دقائق لا أكثر يا فريد ..

فريد : دعينا نذق أكبر متعة فى العالم تعالى .. أيها المخوق الذى لا يشبع .. واحدة أخرى .. بعد ذلك لن أقبلك لمدة خمس دقائق ..

ليلى : مستحيل ..

فريد : « ويقبلها مرة أخرى » أنت على حق ..

ليلى : قل لى يا حبيبى .. هل كنت فاتنة لك أول لحظة رأيتنى فيها ؟

فريد : لا أتذكر ...

ليلى : لا تتذكر ؟ تقولها ولا تستحى .. هذا مريع .. « وتقرصه » .

فريد : كفى قرصا . انها ليست غلطتى فذاكرتى ضعيفة .

ليلى : وأنا أفضل أن أقول لك ان لدى ذاكرة قوية لا تنسى شيئا .. اننى أتذكر حتى أحلامى التى كنت تسلؤها .. ونحن مخطوبان فقد حدث مرة فى أحد الأحلام أننى

كنت فى قاع البحر وأنت تطارد سمكة كبيرة .. وفجأة استدارت السمكة واذا بها صديقتى شريفة .. وفى تلك اللحظة برزت من بين الأعشاب عارية تماما كحورية البحر .. وحينئذ تركت أنت صديقتى شريفة وجعلت تسبح ناحيتى ..

فــريد : هذا طبيعى جدا .. فمن الذى لا يترك شريفــة من أجلك . .؟

ليــلى : « فى دلال » ولكن شريفة جميلة ...

فــريد : ربما .. ولكنها ليست فى جمالك ففى بعض الأحيــان أجدها تنطق بأشياء تدفعنى الى الجنون . بينما أحرص دائما على الاستماع اليك .. اننى أراك فاتنة وأنت نائمة هكذا .. وكل ما تعملينه يبدو كأنه شىء كامل .. وكل عبارة تنطقين بها أكاد أهمس بها لنفسى .. وفى بعض الأحيان تأخذنى الدهشة فلا أدرى هل كنت حالما أم كنت مفتونا بك .

ليــلى : « متأثرة » لا ترفع من قدرى الى هــذه الدرجة . والا أصابتك خيبة أمل .. فاننى لا أستحق هذا كله ..

فــريد : أيتها الأوزة الحمقاء .. ان الذى يسمعك يخيل اليه أن لديك شعورا بالذنب .. ان فى ماضيك جريمة .

ليلى : (وصوتها متهدج) هذا صحيح يا فريد .. فعندى سر رهيب ؟

فريد : وما هو ؟

ليلى : اننى أحبك ..

« ما تزال الطفلة تعزف على البيانو بصورة مفزعة »

ليلى : أوه .. يا فريد .. ان هذه الموسيقى تبدو رهيبة ... ولكنى سأحب هذا اللحن طوال حياتى ..

فريد : « ساخرا ضاحكا » انها موهوبة .

« العزف يرتفع الى اعلى السلم الموسيقى ثم يصبح نغمة مرحة »

الفصل الرّابع

الزواج والصداقة

الأستاذ : سيداتى ... سادتى .. فى الدرس الأخير كان لا بد أن تترك الزوجين معا فى عزلة وهذه العزلة ضرورية فى شهر العسل .. انهما يكونان معا علاقة جديدة .. ارتباطا جديدا ولكن هـذه العلاقة مهما كانت ممتعـة فانها ستكون مفتعلة وستكون مملة أيضا .. وبعد شهر العسل يعود كل منهما الى حياته العادية الى مكانه من الحياة الى أصدقائه . وعلى ذكر الأصدقاء تظهر أمامنا مشكلة ان كل واحـد منهما له أصدقاء فهل سيبقى هؤلاء الأصدقاء كما كانوا قبل الزواج ثم ما موقف الأصدقاء من الزوجة التى فرضت عليهم ؟ وما موقف الصديقات من هذا الزوج الذى فرض عليهن .. على كل حال مهما كانت الصداقة قوية فان الموقف صعب دائما . والآن سأعرض عليكم الطريقة الخاطئة لمعالجة

هذا الموقف فاليكم حوارا بين بدرية وكريمة ، وكلتاهما صديقة لليلى والحوار على أثر عودة العروسين من شهر العسل .

بدرية : « فى لهفة » هل رأيت العروسين ؟

كريمة : نعم . لقد أمضيت ليلة أمس فى بيت ليلى .

بدرية : « فى خيبة أمل » صحيح ؟ لقد تلقيت منها مكالمة تليفونية واحدة ولكنها كانت طويلة مشوشة ... ليلى وعدتنى بالحضور الى حفلة الكوكتيل أمس ولكنها لم تحضر . دنيا .. ان الصديقة عند ما تتزوج لا تصبح صديقة أبدا . هل تبدو عليهما السعادة ؟

كريمة : ظاهريا فقط .. أنا متأكدة من هذا .. وزوجها يضع ذراعه حول خصرها دائما ويسحبها الى أحد أركان الغرفة وهناك يقبلها .. وعندما ينهض يضع يده على كتفيها كأنه يمارس حقا من حقوق وضع اليد عليها . وألاحظ انهما يتكلمان بصورة غامضة عن الفنادق . . ولها أسماء غريبة .. وعن غرف النوم .. سمعته يقول لليلى : هل تذكرين ياليلى تلك الطفلة الصغيرة التى كانت تعزف رقصة « حبيبى الأسمر » ثم رأيته بعد ذلك يهمس فى أذنها ببعض الكلمات ثم ينفجران فى الضحك ... ان زوجها مجنون .. وقليل الذوق .. حتى

أبوها لم يعجبه حالها .. لقد لاحظ أنهما لا يتحفظان أمام الضيوف .

بدرية : يعنى من رأيك انهما ليسا سعيدين ؟

كريمة : طبعا : كل هذه مظاهر كاذبة .. وأعتقد ان ليلى تشعر بخيبة الأمل من أعماقها .. أنا متأكدة .

بدرية : « مسرورة » وكيف عرفت ذلك ؟

كريمة : من أشياء صغيرة ويظهر أنها ليست مفتونة بجسمه .. فعندما يضمها الى صدره فانها لا تستسلم له ولا تلقى بنفسها بين ذراعيه ولكنها تبتعد عنه .. ولا أرى فى عينيها اللمعان الذى يدل على انها تهيم به .. فزوجى عندما يضع يده على ذراعى أكاد أشعر بالاغماء من شدة التأثر .. وهذا واضح جدا .. أما ليلى فتظل هادئة تماما ومتماسكة ولا أدرى لماذا لا تخيب آمالها فى هذا الرجل .. طبعا لابد أن تشعر بذلك فى أعماقها انى متأكدة .. لقد تحدثت معه .. قليلا . وأيقنت انه لا يعرف ما يقول .. وهو قليل الذوق .. وليس لديه الا موضوع واحد لا يكف عن الكلام فيه .. العلم .. العلم .. هذا هو ما يتحدث عنه دائماً .. أما فيما عدا ذلك من الموضوعات الأخرى فكله كلام قرأناه فى المجلات والصحف .. وذوقه فى الموسيقى قديم جدا .. انه يحب سيد درويش والشيخ سلامة حجازى ومنيرة

المهدية .. تصورى ؟ وذكرت له بعض الأدباء الشبان الذين أقرأ لهم ... واكتشفت أنه لا يعرف منهم واحداً ... تصورى .. وكانت تبدو عليه الدهشة . . والبلاهة .

بدرية : هل تعتقدين أنه حدث زوجته عن علاقته بشريفة .. فنحن نعلم أنه كان على علاقة طويلة بها قبل أن يعرف ليلى . .

كريمة : طبعا لم يقل لها شيئا .. أما أنا فقد لمحت لها بلباقة ولكن لم ألاحظ عليها أى اهتمام أو حتى فهم . . وأعتقد أنها أيضا لم تحدثه عن علاقتها بسمير .. وهذا طبيعى مادام فريد غيورا الى هذه الدرجة .. ونسيت أن أقول لك انه فى هذه الحفلة كان هناك صديق أختها .. وآه لو رأيت نظرات فريد انها مليئة بالقلق والغيرة .. ان ليلى مسكينة .. سيكون من واجبها فيما بعد أن تحرص على كل كلمة وكل اشارة .. وان ..

بدرية : ولن تكون بعد اليوم من بنات شلتنا ..

كريمة : طبعا مستحيل .. ولا يمكن أن تضم شلتنا واحدة مثلها . لقد تغيرت .. انها لم تعد تصلح لنا ..

بدرية : بل ستكون لها هى الأخرى شلة جديدة ..

كريمة : أنت لا تعرفين أى نوع من الرجال زوجها هذا .. لقد حاولت أن أعرف ذلك بصورة عابرة عندما قلت

لليلى : الآن بعد أن عدت من رحلة شهر العسل . اذا وجدت نفسك وحيدة فاطلبينى أنا وبدرية .. ونحن نحضر لزيارتك فورا .. ولكن زوجها فريد انتفض يقول : لاداعى لهذا فأنا سأبقى معها ولن أتركهـا وحدها .. واذا حدث هـذا واضطررت لأن أتركها وحدها فلديها ما يملأ فراغها .. أليس كذلك يا حبيبتى ليلى ؟

بدرية : وماذا قالت له ؟

كريمـة : عندما ردت عليه شعرت بالخجل .. لقد قالت بصوت متخاذل : طبعا يا حبيبى . ولكن على الرغم من هـذا رأيت فى عينيها نظرة الكلب المضروب .. انها نظرة حرت فى تفسيرها بعد ذلك ..

بدرية : وأنت لم تتمكنى اذن من رؤيتها وحدها واستدراجها فى الكلام .. ؟

كريمـة : لم يكن سهلا .. فزوجها يراقبنا وعندما جاء أبوها أخذ الزوج والأب يتحدثان فى موضوعات سخيفة لا تهمنا .. وهنا أتيحت لى الفرصة واستطعت أن أكلمها .

بدرية : ماذا حدث ؟

كريمـة : طبعا كنت حريصة جدا .. ولا تنسى أنها لم تتزوج الا منذ شهرين فقط وقد حاولت هى أن تفهمنى انهما زوجان سعيدان سعادة كاملة .. وكانت تقول : ان فريد

مشغول وهو رجل عنده طموح وله مستقبل عظيم .
وهو رجل عملى ويتولى تنظيم وترتيب كل شيء في هذا البيت غير أنني حطمت هذه الاستحكامات التى نصبتها ليلى فى وجهى وقلت لها : من المؤكد انه متنبه لكل شيء .. ولكن ألا تشعرين بالملل من بقائه معك دائما ؟

بدرية : الى هذه الدرجة كنت جريئة معها .. ؟

كريمة : وماذا يمنعنى أن أكون جريئة وقد أحست هى بالقلق وقالت : وأنت لماذا تسألينني كل هذه الأسئلة ياكريمة؟ هل لأنك مللت من كلام « فؤاد ؟ » ولم أجب بشيء بعد أن لاحظت أن كلامى كان له أثره فى نفسها . فغيرت الموضوع وقلت للآن وقد أحببت زوجك فهل هذا هو الحب الأول ؟ وظهر عليها الاضطراب وقالت : ان هذا هو الحب الحقيقى . فكل منا يحب الآخر ويثق به . ونحن سعيدان جدا . وأنت تعلمين أن الانسان لكى يتعود الحياة الزوجية يحتاج الى أن يتعودأشياء كثيرة .. منها التجاوب النفسى والجسمى مع الرجل الذى يحبه .

بدرية : هل هى التى قالت كلمة « التجاوب » هذه .. فهـذه الكلمة تدل على أن الحالة سيئة بينهما .. وأنا قد قلت ذلك دائما .. وزوجها هذا أين تعلم أساليب

معاملة السيدات .. ان علاقته العذرية بشريفة لم تعلمه أى شىء .. فقد أمضى معظم وقته يستعد للامتحان « وفى حماسة » لن يمضى وقت طويل حتى تجد ليلى عاشقا آخر بدلا من هذا الزوج .. أنا متأكدة ..

كريمة : أنا لست متأكدة من هذا .. فزوجها موسوس وهو شديد الرقابة عليها فمنذ عادا من شهر العسل وهو يتصل بها تليفونيا عدة مرات فى اليوم ليعلم ان كانت موجودة فى البيت .. والمسكينة تتصور أن هذا يدل على الحب الشديد .. تصورى .

بدرية : مسكينة .. لابد أنك اطلعتها على الحقيقة .

كريمة : اعترف لك لقد وفقت فى ذلك توفيقا تاما .. فقلت لها : أسمعى يا عزيزتى ليلى استمعى لى باهتمام اذا تساهلت مع زوجك وهو يحاول أن يجعلك سيدة تلزم البيت ولا تتركه أبدا .. فقد ضاعت حياتك عبثا .. انه يريد أن يجعلك معزولة عن العالم بلا أصدقاء .. لامن الرجال ولا من النساء .. ولكن الأزواج لا يفهمون .. ولا أمان لهم اسمعى كلامى .. اتركى كل أصدقائك.. أبعدى عن كل صديقاتك وعندما لا يجدك جميلة وفاتنة .. سيهرب منك وينسحب من حياتك .. هذه هى الخطة التى وضعها لك ، هذه هى الفلسفة البلهاء التى تصدقينها ، هذه هى المشكلة فالرجل نمرود .. كل

الرجال .. وهم يزهدون فى الشىء الذى فى أيديهم ولكنهم يطاردون الشىء الذى يهرب منهم .. وسيجىء اليوم الذى يهرب منك الزوج .. ما رأيك ؟ هل أنت سعيدة حقا أم انك تخدعين نفسك .. اننى فى حيرة ..

بدرية : برافو عليك .. هذا ما كنت أتمنى أن أقوله ..

« وفى هذه اللحظة يدق جرس التليفون .. انها ليلى وترد عليها بدرية بحنان شديد »

بدرية : نعم يا حبيبتى .. لقد أخبرتنى كريمــة ياروحى .. الحمد لله انك سعيدة ..

« وتتبادل بدرية وكريمة الابتسامات وتدق الموسيقى نغمــا ناشزا »

الاستاذ : لاشك أن هاتين السيدتين هما أسوأ أنواع الصديقات وقد اخترت هذا النوع بالذات لكى أنبهكم الى هذا الخطر الذى يهدد الحياة الزوجية فالصديقة الحقيقية هى التى ترحب بهذا القادم الجديد وتحاول مخلصة أن تقوى صداقتها معه .. فاذا نجحت هذه الصداقة أصبح كل شىء على ما يرام واذا فشلت فمن الأفضل أن يتركوا هذين الزوجين وحدهما دون ضجة وبلاأسف على فقد صديق وليس من حق أى انسان أن يتدخل فى الحياة الزوجيــة لأى انسان آخر .. والنصيحة لا يمكن أن تحل مشاكل الحب بين الزوجين وانما

يجب أن نترك الزوجين وحدهما ليحلا هذه المشاكل واذا لم يجد الزوجان حلا فالمسألة تعنيهما وحدهما ولا تعنينا . والزوجان السعيدان فى استطاعتهما أن يجدا الصداقة الصريحة مع زوجين آخرين وفى هذه الحالة لن تكون هناك غيرة وانما سيكون لكل من هؤلاء الأربعة نصيب من السعادة . ولن نجد أحدا من هؤلاء الأزواج الأربعة يمد يده الى سعادة الآخر يخطفها أو يسرقها ولا خطر من أى حديث سرى بين الأصدقاء وصداقة الأسرة المتزوجة لرجل أعزب تجعل الموقف أكثر صعوبة وتعقيدا ، وقد اكتشف أحد الملوك أنه كان مغفلا عندما حدث أحد أصدقائه عن جمال زوجته وعن سحرها .. فليس أسهل من أن تتحول الصداقة بين الرجل والمرأة الى علاقة جنسية.. ثم هناك شيء هام جدا .. فعندما يقع خلاف بين الزوج وزوجته نجد الرجل الأعزب يتسلل بين الزوجين ويحطم هذه الثقة المتبادلة وذلك باستغلال نقطة الضعف بينهما . والزوجان المشاغبان هما أسوأ مثل وأسوأ صديق لأسرة أخرى تتكون من زوجين سعيدين والزوجة الساخطة المرورة لا تستطيع أن تستريح الى زوجة أخرى سعيدة لأنها ستعمل بكل ما فى جهدها لتحطم سعادة الآخرين وتضاعف من عذابها وشقائها . ولاتنسوا سيداتى وسادتى أن السعادةقابلة

للكسر لأنها حالة عقلية . والمتحدث اللبق يستطيع أن يلوى الحقائق ويجعلها لصالحه ، وعلى ذلك يسهل عليه أن يغير نظرتكم الى الحياة . ونصيحتى اليكم هى أن تبتعدوا عن صيادى التعاسة والشقاء والمرأة العاقلة هى التى لا تناقش أخطاء زوجها ولا مشاجراته معها مع امرأة أخرى فمثل هذه الثقة بالمرأة الأخرى تجر وراءها المتاعب . وستعمل هذه المرأة على المبالغة فى هذه الشكوى لتجعلها مثيرة ممتعة . وبعد ذلك نراها تصدق هذه الرواية التى اخترعتها . فاذا كنا نحرص على هدوء البال والراحة الكبرى فيجب أن تكون لنا أسرارنا ويجب أن نصونها ولا نلقى بها الى أية امرأة أخرى صديقة لنا . وليس معنى ذلك الا يكون للزوجين أصدقاء أبدا . بل بالعكس يجب أن يكون لنا أصدقاء . فالصداقة كتغيير الهواء ، مسألة ضرورية جدا ولكن الزوجين العاقلين يجب أن يراعيا هاتين القاعدتين : القاعدة الأولى أن الزوجين يجب أن يختارا أصدقاء يوثق بهم . أن يختارا أصدقاء يؤمنون بالقيم الاخلاقية وبذلك يمكن ان تكون هناك ثقة متبادلة ولحسن الحظ نجد عددا كبيرا جدا من الأزواج يطمئن الانسان على زوجته معهم ، نجد كذلك عددا من الزوجات تطمئن المرأة اذا تركت زوجها معهن .. دون أن يكون هناك خوف من أية مناورات خطيرة.. والقاعدة

الثانية التى يجب مراعاتها هى أن خير صديق للمرأة المتزوجة يجب أن يكون زوجها وأن خير صديق للرجل المتزوج هو زوجته وأن يكون كل منهما موضع سر الآخر . فاذا كان لدى الزوج ما يضايقه أفضى بهذا الألم الى زوجته دون أن يقول ذلك لأى شخص ثالث.. لأنه على يقين من أن زوجته ستقابله بمرح وحنان .. والصداقة الحقيقية بين رجل وامرأة يجب أن ترضى العقل والقلب والجسم معا .. والزواج هو الذى يجعل هذا ممكنا . فعندما يكون الزوج هو أحسن أصدقاء زوجته ففى استطاعتها بلا خوف . أن يكون لها أصدقاء آخرون اذا ارادت .

« تلميذة ترفع اصبعها »

الاستاذ : هل لدى الآنسة سؤال ؟

التلميذة : نعم يا أستاذ لقد قلت لنا ان الزوج فى استطاعته أن يكون أحسن صديق لزوجته فهل من الممكن أن توجد الصداقة والحب فى آن واحد ؟

الاستاذ : هذا سؤال فى محله . طبعا هناك خلاف بين الصداقة والحب . الحب أعمى . غيور .. رقيق .. ظالم .. أما الصداقة فهى عادلة .. سخية .. ذكية .. الحب قابل للتغير من عاطفة الى عاطفة .. أما الصداقة فتمشى فى طريق أملس ناعم مسالم .. وموضوع هذا

الدرس هو أن نبين كيف يستطيع الزوج وحده أن يحول الحب الى صداقة دون أن يقتل الحب فى عملية التحويل .

التلميذة : كيف ؟ أنا أعتقد أن التعود هو الذى يقتل كل رغبة..

الاستاذ : « ضاحكا » يظهر أن الآنسة لديها معلومات لا بأس بها فى هذا الموضوع .. ولكن لماذا تستخدمين كلمة « رغبة » مع أنها كلمة لا تدل الا على حالة عابرة ؟ فأنا أعتقد أن الحب من الممكن أن يكون بنيانا متينا لأننا أقمناه طوبة طوبة .. طول الحياة ولا تخلطى بين اللذة الحسية وبين هذا الشوق العابر : فاللذة الحسية هى هبة الطبيعة لشابين بينما الشوق هو الجنون المؤقت الذى يجعلنا ننظر الى المسألة بعينين مهزوزتين والزواج يضيف اليها شيئا آخر هو الحنان والتفاهم وشيئا اسمه التعاطف الذى يجعل كلا من الزوجين يعرف الآخر على حقيقته بكل عيوبه ومزاياه .. ومع ذلك يحبه ولكن هذا الكلام كله فى الهواء .. وهو يحتاج الى تصوير .. الى أن نجعله ملموسا .. وكما هى عادتى سأريكم فيما يلى مواقف تصور :

« غرفة استقبال صغيرة أثاثها ردىء وليلى تجلس على مقعد منهب . وتبدو يائسة وفريد يقرأ فى صحيفة وينظر اليها بامتعاض من حين الى حين .. واخيرا يتكلم »

فريد : ايه الحكاية يا ليلى ؟

ليـــلى : « ساخطة ثائرة » ماذا تقصد ؟ انني بخير ..

فــريد : لا تخفى عنى شيئا يا حبيبتى أنا لا أقصدأى شيء معين ولكن أفهم من ملامح وجهك أن فى الأمر شيئا . فاذا كان هناك ما يحزنك فلا بد أن أعرفه .. أن أعرف السبب وأعتقد انه لا مانع من ذلك .

ليـــلى : (وقد هدأت قليلا) طبعا لا مانع . ولكن ما الفائدة ؟ فانت لن تفهم ...

فــريد : إذن هناك شيء ولكن لماذا لا أفهم ؟ هل تظنين انني بهذه الدرجة من الغباوة ؟

ليـــلى : لا أبدا .. ولكن الرجال ...

فــريد : الرجال ماذا ؟ قولى لى .. هل قابلت كريمة أو بدرية اليوم ؟

ليـــلى : رأيتهما معا .. وهل هذا ممنوع .. ؟

فــريد : أبدا .. بكل تأكيد . مادمت ستقولين لى ماذا حدث . فلا مانع أبدا ...

ليـــلى : حتى ولو كان شيئا لا يسرك أن تسمعه . .. ؟

فــريد : هل هو شيء لا يسرنى ؟ اذن لابد أن تقولى أى أنواع السم تنفثه هاتان السيدتان ؟

ليـــلى : لا أحبك أن تتحدث عن صديقاتى بهذه اللهجة . فمن الممكن أن يكون لكل واحدة منهما اخطاؤها . ولكنهما مع ذلك صديقتان مخلصتان لى .

فـــريد : وهما طبعا لا تكنان لى أى حب .

ليـــلى : بل لديهما رغبة صادقة فى أن تكنا لك الحب .. لأنك.. لأنك زوجى .. ولأنهما ..

فـــريد : لأنهما ماذا ؟ قولى .. انى على استعداد لسماع كل شىء ..

ليـــلى : مادامت هذه رغبتك فسأقول لك .. انهما تعتقدان انك لاتحبنى حقا .. وأنك لا تبذل جهـــدا فى فهمى . وانك أرغمتنى على أن أشاطرك حياة العزوبية الأنانية .. وانك قد أغمضت عينيك عن مشـــاكلى « صمت وتنهد » هل لديك صبر لتسمع أكثر من هذا .. وأنا يخجلنى أن أقول لك أنهما تقـــولان عنك .. انك .. سافل ...

فـــريد : « باحتقار » سافل ؟ وماذا تعرفان هما عن سفالتى ؟ اذا كنت أدفع آخر قرش فى جيبى لكى أجعلك سعيدة. ثم ماذا قالتا عن خاتم خطوبتك ؟

ليـــلى : حاسب عندك فهذه المسألة لا يجب مناقشتها مطلقا : فالخاتم يخرج عن هذا الموضوع .. لا يجب أن نتناقش فيه أبدا .. بل أن صديقتى كريمة لا تفرك أبدا على أن تستعير كل هذا الأثاث الحقير من بيت والدك .. ومن رأيها أنه ما كان يجب أن تملأ بيتا حديثا بأثاث من مخلفات الجيل الماضى .. وهى على حق يا فريد .. فغرفة

الحمام رهيبة مخيفة .. آه لو تعلم كم أحتقرها .. طبعا كان من الأفضل أن نؤثث بيتنا على ذوقنا فنجعله بسيطا حديثا جذابا .

فـريد : ولكنك يا حبيبتى لم تحدثينى بشىء من هـذا قبل اليوم .. بل لقد لاحظت أنك مفتونة بهـذا الأثاث القديم .. أنا مندهش ...

ليـلى : لم أعرف نوع الأثاث بسهولة .. ولم تكن عندى أية رغبة فى معارضتك ... كما اننى لا أريد أن أصدم أهلك وأقاربك ..

فـريد : اسمعى يا حبيبتى .. اننا بهذه الطريقة لا يمكن أن نتفاهم ولا يمكن أن تكون لنا حياة زوجية سعيدة . واذا نحن سمحنا لشخص ثالث أن يتدخل فيما بيننا فان هذا سيشوه صورة كل منا أمام الآخر وأحب أن أقول لك شيئا هاما جدا .. يا سيدتى العزيزة .. لا تنسى أن لك صديقات زائفات .. صديقات ليست لهن تسلية الا الكلام عنى وعنك .. وعن الآخرين ..

ليـلى : لا تقل زائفات .. وانما قل صريحات ..

فـريد : ولكن الصراحة من الممكن أن تكون جارحة قاسية .. وأنا أعرف ذلك جيدا .. مع الأسف وأنا أيضا لى أصدقائى ولهم أيضا رأى .. بل آراء كثيرة .. وأنا استودعهم اسرار حياتى فهل تعرفين ماذا يقولون عنك ... انهم يقولون اننى تزوجت امرأة تافهة ، امرأة

لا تستحق الزواج منى .. لأنها لا تفهمنى ولا أمل فى أن تفهمنى .. ويظهر ان هذا صحيح .. فبعد أسابيع من عشرتنا لاحظت اننى عصبى واننى انسان خامل بليد .. فعندما أجلس اليك لا أجد شيئا أقوله .. واذا قلته ففى كثير من القرف .

ليلى : من الذى قال هذا ؟

فريد : كلهم : كل أصدقائى

ليلى : ولماذا لم تخبرنى بهذا من قبل .. ؟

فريد : لا داعى .. فقد كنت مخطئا .. وأنا طويت نفسى على هذا الكلام حتى كدت أنفجر .

ليلى : وهل صحيح يا فريد .. اننى جعلتك عصبيا وجعلت منك انسانا خاملا .. ؟

« ويذهب فريد ويجلس الى جوارها ويطوقها بذراعيه »

فريد : نعم يا حبيبتى . وهذا طبيعى جدا .. فأنا أعرف شعور صديقاتك نحوى . بل اننى أشعر به . وكل ما أخافه هو أن تقعى تحت تأثير الصديقات ... وأخشى أيضا أن تسخرى منى فى يوم من الأيام .. وهذا هوالسبب الذى يجعلنى أمسك لسانى وأضغط عليه بأسنانى فأنا لا أعرف الا الكلام فى موضوع واحد هو الهندسة والميكانيكا والكهرباء .. وهذه موضوعات

جافة لا تعجبك .. ثم اننى لا أعرف ماذا يعجبك من الكلام .

ليـلى : ما هذا الكلام السخيف ؟ وهـل تعتقد أنت أننى لا أستحق الزواج منك ؟

فـريد : لا .. طبعا فلكل منا أشياء كثيرة لا توجد عند الآخر.. ويجب علينا نحن الاثنين أن نتقارب .. ونتعارف..فقد اكتسبت ذوقك ..

ليـلى : وأنا لو اكتسبت خبرتك ..

فـريد : لكانت النتيجة شيئا رائعا . وأعتقد أن هـذا ممكن ليس مستحيلا .. ويجب أن نتماسك فى وجه الغرباء والدخيلين علينا ...

ليـلى : « وقد مالت على صدره » حاضر ..

فـريد : بل ولا يجب أن يكون بيننا أى خلاف أو شقاق .. يبذر عدم الثقة بيننا . والأصدقاء يجب أن يحترموا تعاوننا وتماسكنا . وكل ما يقال للواحد منا يجب ان يقوله للآخر لا سر بيننا وهـذا سيؤدى الى ارهاق أصدقائنا أول الأمر .. وبعـد ذلك سيتعودون على الوقوف ساكتين أمام هذه الجبهة التى هى أنا وأنت .. ولن تكون لنا متاعب بعد ذلك .. لا سر بيننا .

ليـلى : ولكن من الصعب أن أقول لك أى شىء .. فأنت لا تشجعنى .. أنت صامت كتوم مشغول ويخيل لى أن فى حياتك شيئا تخفيه عنى ..

فريد : هذا صحيح ياليلى .. فأنا التزم الصمت عندما يكون هناك أناس معنا .. ولكن عندما نكون وحدنا فلا أكون صامتا معك .. وأنا أعتقد أنه فى الحياة الزوجية يجب أن تتقاسم الخير والشر .

ليلى : الخير والشر ..

فريد : نعم يا حبيبتى .. وأعتقد أن الموقف يستحق قبلة من قبلاتنا الخاصة .

موسيقى

الاستاذ : هذه صورة سريعة . وهى توضح لنا الموقف السليم الذى يجب أن تتخذه نموذجا فى فض مشاكلنا الزوجية .

تلميذ : سؤال يا أستاذ ؟ أعتقد ان مثل هذا الحوار المثالى ، يكون فى بعض الأحيان مستحيلا فهذا يفترض وجود زوجين عاقلين جدا ولهما ارادة من حديد .. وعندما تكون الزوجة من هذا النوع المتعب ..

تلميذة : أو كان الرجل مغرورا وقحا أنانيا ..

الاستاذ : انتما على حق .. فالانسان فى حياته اليومية يقابل أناسا كثيرين تنقصهم الرقة والحساسية ولذلك يجب أن تتفادى الزواج من هؤلاء .

« يدق الجرس .. الطلبة ينصرفون .. ومن مكان بعيد تجىء هذه العبارة : كلام وليس اسهل من الكلام »

الفصل الخامس

مشاكل صغيرة

الاستاذ : سيداتى وسادتى .. اليوم سندرس معا بعض المشاكل الصغيرة التى تعترض حياة الأزواج وهذه المشاكل من الممكن أن تكون لها آثار ضخمة فى حياة الأزواج وكما هى عادتى سأعرض عليكم مشاهد تمثيلية لأفكارى هذه ونحن الآن أمام فريد الذى يعمل فى وزارة الأشغال .. وكانت هذه احدى أمانيه .. وقد دعاه مدير المصلحة الى تناول العشاء وطلب اليه أن ترافقه زوجته .. نحن الآن فى بيت فريد وليلى .. والساعة السابعة مساء . فلنستمع اليهما باهتمام .

* * *

فريد : عندك كل الصفات التى تعجبنى .. الا واحدة .. فأنت لا تحرصين على المواعيد ياعزيزتى

ليلى : وأنت فيك عيب واحد .. هو حرصك على المواعيد أكثر من اللازم .

فريد : أريد أن أعرف كيف تستطيعين أن تتأخرى هكذا عن أى موعد ؟ أنا لا أستطيع أن أتأخر عن أى موعد حتى لو حاولت ذلك .

ليلى : وأنت كيف تستطيع أن تحرص على المواعيد دائما وتذهب قبل الموعد دائما ؟ فأنت عندما تذهب الى المحطة يخيل لمن يراك ان القطار الذى يسبق القطار الذى تريده قد فاتك .

فريد : يمكن .. فأنا مضطر أن أستعجلك دائما . والا فاتك القطار واضطررت الى الانتظار .. غير أنى أريد أن أسألك جادا : لماذا تتخلفين عن المواعيد هكذا ؟ مع أن الحرص فى المواعيد ليس صعبا . فالليلة مثلا نحن مدعوان الى تناول العشاء فى بيت المدير فى الساعة الثامنة ويجب أن تفرغى من ارتداء ملابسك قبل الثامنة .. وأريد أن أعرف الآن كم من الوقت تحتاجين لكى ترتدى ملابسك وتسرحى شعرك .. ؟

ليلى : نصف ساعة اذا لم يقع أى حادث ..

فريد : عال أضيفى اليها ربع ساعة على سبيل الاحتياط .. فاذا بدأت فى ارتداء ملابسك فى الساعة السابعة والربع

فستفرغين فى الوقت المناسب .. وأعتقد أنه لا توجد صعوبة .

ليلى : أيها الزوج المسكين .. ألا تعرف أن مشكلتى الأولى هى متى أعرف بالضبط أن الساعة قد بلغت السابعة والربع .

فريد : أى صعوبة فى هذا .. أليست لديك ساعة ... بل ساعات فى كل مكان حولك ..

ليلى : كيف أتذكر أن أنظر الى هذه الساعات ... ولكى ينظر الانسان الى الساعة يجب عليه أن يعرف أن الساعة قد صارت السابعة .. ثم اننى عندما أقوم بشىء يهمنى جدا . لا أشعر بالزمن .. فلست مثلك أضع « منبها » فى قلبى .

فريد : هناك شىء آخر فى قلبى يجب أن تعرفيه أكثر من غيرك .

ليلى : طبعا يا حبيبى أعرفه .. وما كان يصح لى أن أقول هذه العبارة .. والأحسن أن أقول أنك تضع « منبها » فى رأسك .. فماذا كانت النتيجة ؟ انك تنتظر كل انسان.

فريد : أفضل انتظار الناس على أن أتركهم ينتظروننى ...

ليلى : هذا يدل على روح التضحية .. وعلى طبيعتك المدبرة .. أما أنا فأفضل أن ينتظرنى الناس .

فــريد : ربما .. على أى حال سنتناقش فى هذا كله فيما بعد .. أما هذه الليلة فأرجو أن تخرجى عن القواعد التى وضعتها لنفسك أرجوك .. أتوسل اليك أن تحرصى على الموعد .. فأنت تعلمين أننا سنتناول العشاء على مائدة المدير .. وهذه أول مرة يدعونى الى بيته وهذا تكريم لم يسمع به أحد من قبل .. ومستقبلى كله متوقف على هذه الليلة .. ورجائى أن تساعدينى .. فالأمر يهمك ويهمنى أيضا .

ليــلى : « بكبرياء » هذا يكفى .. فقد أوضحت لى كل شىء .. وأنا أعدك هذه الليلة أن أبذل كل جهدى .. بشرط واحد .. هو ألا تجىء كل خمس دقائق وتسألنى : هه ماذا فعلت ؟ ان هذا يجننى ويعطلنى ويؤخرنى أكثر مما يجب .. فأرجوك أن تبتعد عنى ..

فــريد : موافق . بشرط أن تبدئى فورا .. فان عقرب الساعة التى فى قلبى يلدغنى ويقــول ان الساعة الآن هى السابعة والربع .

ليــلى : مستحيل .. نعم . . معك حق ان ساعة يدى تتفق مع ساعة قلبك .. وسأبدأ حالا .. مع السلامة مؤقتا أيها الطاغية .

« لا يتركها فريد وحدها .. ويفتح كتابا ثم يضعه ويقلب صفحات كتاب آخر .. الساعة تعلن الســابعة والنصف ، فريد يروح ويجىء فى الغرفة نافذ الصبر .. يقف .. ويجلس فى مقعده يحاول يائسا أن يقرأ واخيرا تدق الساعة الثامنة »

فـريد : الساعة الثامنة .. هذه نهايتى .. أستطيع أن أتخيل وجه المدير . اذا ما جئنا آخر الناس : انه هو الآخر حريص على المواعيد .. على كل حال زوجتى فى حالة نفسية طيبة ولا بد أنها قد ارتدت ملابسها كلها .. سأذهب اليها لأرى ما حدث .. غير أننى وعدتها بألا أتردد على غرفتها من حين الى حين .. والآن بعد أن أقفلت الباب على نفسها ثلاثة أرباع الساعة ..

« يدق بابها »

ليـلى : ماذا جرى ؟

فـريد : أنا ..

ليـلى : ماذا تريد يا أنت ..

فـريد : ماذا أريد .. انها الثامنة .. يجب أن تخرجى فورا .. لقد تجاوزت الثامنة « ويفتح الباب » يالهى الا تزالين فى قميص النوم ياخرابى ؟

ليـلى : طبعا .. وماذا جرى ؟ ألا يعجبك شكلى فى قميص النوم ؟

فـريد : اسمعى لى يا حبيبتى اننى أكاد أجن ... فماذا كنت تفعلين طول هذه الساعة الماضية ؟

ليـلى : كنت أسوى شعرى .. ووضعت التواليت على وجهى

.. وأعدت تلميع أظافرى لأننى أخطأت فى اختيار اللون المناسب .. وبينما كنت أرتدى ملابسى كلمتنى شريفة فى التليفون وظلت تحدثنى عشرين دقيقة .. ولولا هذه المكالمة لكنت ارتديت ملابسى فى الموعد المحدد .

فـريد : ولماذا لم تقفلى السكة فى وجهها ؟

ليـلى : ستطلبنى مرة أخرى .. أتركنى خمس دقائق فى هدوء والا عطلتنى . .

فـريد : هذه آخر قشة أتعلق بها .. حسنا سأخرج ولكن أنذرك بأننى فى خلال خمس دقائق ، بالضبط سأذهب الى الحفلة وحدى ..

ليـلى : وهو كذلك . اخرج وانتظر فى الغرفة المجاورة .

« استراحة . فريد يتنهد ويصفر ويتحدث الى نفسه .. ويتململ ويزمجر .. والساعة تدق الثامنة والربع .. وينهض فجأة ويتجه الى غرفتها »

فـريد : ليلى الساعة الثامنة والربع . وهذه أكبر كارثة فى حياتى ماذا تصنعين الآن « ويفتح الباب » .

ليـلى : فى استطاعتك أن ترى بعينيك أننى أحاول شد السستة لكنى لا أستطيع ..

فـريد : السستة ؟

ليـلى : نعم .. انها لاتطاوعنى تعال وساعدنى بدلا من أن تقف هكذا كئيبا . . شدها الى أعلى .

فـريد : انتظرى .. لاتتحركى .. انها هى الأخرى عنيدة .. لقد سحبتها الى أسـفل أكثر من اللازم .. لا تتحركى أرجوك

ليـلى : «وقد ابتعدت عنه» أنت لم تعد تحبنى .. هذههى المرة الأولى التى لم تقبل فيها ظهرى عندما يكون عاريا .

فـريد : بغضب « لا تتحركى من فضـلك .. كفى ثرثرة .. أعتقد أننى انتهيت من هذه السستة .. ثم ماذا بعد ذلك ؟

ليـلى : يا حبيبى أنت مدهش ..

فـريد : أبدا .. وانما كل ما هنالك عقلية ميكانيكية .. ككل الرجال

ليـلى : وأنا طبعا جميلة ككل النساء .. ولو لم أضع الأحمر على شفتى لقبلتك ..

فـريد : لا تقبلينى الآن .. دعينا نخرج .. انها الثامنة والنصف.

ليـلى : « صارخة » يا الهى .

فـريد : وماذا حدث الآن ؟

ليـلى : انظر لقد انسل جوربى .. لاداعى للخوف فهناك جوارب أخرى جديدة قد أحضرها أبوك من أمريكا .. لحسن حظنا

فـريد : مأساة .. هذه مصيبة ..

ليـــلى : أنت مجنون ؟ كيف أذهب الى حفلة عشاء بجورب ممزق يجب أن ارتدى زوجا آخر .

فـــريد : « فى هدوء يائس » البسى جوربا آخر يا عزيزتى .. واذا لم يعجبك فستانك فالبسى واحدا غيره .. واذا كان شعرك منكوشا فأعيدى تسويته .. أو اذهبى الى الحلاق واذا كانت جواربك قد انسلت فاذهبى الى أمريكا واشترى جوارب أخرى .. فما زالت هنـــاك طائرات سريعة .. وستجديننى فى انتظارك دائما .. ومن يدرى ؟ فبعد خمسة أيام أو خمسة شهور سنصل فى الوقت المناسب الى بيت المدير .

ليـــلى : أنت سخيف .. وأرجو ألا تسخر منى هكذا

* * *

الاستاذ : وأخيرا غيرت ليلى جوربها وألقت نظرة أخيرة على نفسها فى المرآة .. وخرجا ودفع فريد لسائق التاكسى بقشيشا لكى يسرع ويصل الى بيت المدير .. ويدخلان فى الاسانسير ويرتفع بهما الى الطابق الثامن .. ويفتح الخادم الباب .. ويدخلهما الى الصالون .. ولا يجدان أحدا من الضيوف .

« يخرج الخادم .. وتنظر ليلى الى زوجها نظرة المنتصرة .. وتقترب منه وتضع يدها على خده »

ليـــلى : يا مسكين يا زوجى .. أنت تجىء قبل الموعد دائما

وتنتظر دائما .. تذكر هذا دائما

الأستاذ : أعتقد أننا لسنا فى حاجة الى تعليق .. والآن .. أمامنا مشهد آخر للخلافات الصغيرة بين الأزواج .

* * *

نيـــلى : ماذا أصابك اليوم ؟

فـــريد : ماذا تعنين ؟ لاشىء ..

ليـــلى : لاتكذب يافريد .. فأنا أعرفك جيدا .. أنت لا تكلمنى .. ولا ترد على أسئلتى .. وقد ظللت طول اليوم مقطب الوجه .. حتى الصحيفة لم تقرأها .. فاما أنت مهموم أو أنت مريض .

فـــريد : لا أستطيع احتمالك .. كفى أنا لا أقرأ الصحيفة لأنه لا يوجد شىء يستحق القراءة واذا كنت لم أجب عن أسئلتك فلأنك تتحدثين عن السمكرى والكهربائى وكلها أشياء تضايقنى .. ومع ذلك فلست مهموما من أى شىء . وانما على العكس أنا مبسوط .. واذا أردت أن تعرفى أكثر فقد تلقيت تهنئة على ما قمت به من أعمال .. فأنت ترين اننى مسرور .

ليـــلى : « تهز رأسها فى حزن » اذن فأنت مريض . وأنا مؤمنة بأنك مريض .. وقد لاحظت ذلك وأنت تتناول غداءك

.. فأنت لم تطلب مزيدا من السمك الذى تحبه .. ثم بعد الغداء استلقيت على الكنبة وهى دلالة سيئة دائما .

فـريد : كفى كلاما يا عزيزتى .. أرجوك الا تتخيلى أشـياء لا أساس لها من الواقع .. أنت مخطئة كمصلحة الارصاد الجوية عندما تتنبأ بحالة الطقس .. وأنا لم أتناول مزيدا من السمك لأنه لم يكن طازجا .

ليـلى : أما أنا فأحبه ..

فـريد : واستلقيت على الكنبة لكى أتمتع ببعض النوم لانتى لم أذقه ليلة أمس .

ليـلى : كل هذا يؤكد لى انك مريض .. أنت اعترفت بهذا ! .. فنومك المقطع معناه انك متعب وأنك مريض .

فـريد : لم أعترف بشىء يا عزيزتى .. لم أنم أمس نوما عميقا لانك كنت تتحدثين معى فى الثانية صباحا على الرغم من كل الجهود التى بذلتها لكى أنبهك الى أن غراميات أمينة هذه لاتهمنى اطلاقا .. وأننى متعب .. وأننى يجب أن أنام .. وأننى يجب أن أصحوا فى الساعة السابعة .. وعندما نمت على الكنبة شعرت بالراحة بعد هـذه « التعسيلة » وسترين هذه الليلة أن شهيتى مفتوحـة للطعام كالمعتاد .. فماذا أعددت لنا من طعام ؟

ليـلى : « بحذر » كنت سأقول لك حالا .. لدينا وجبة دسمة

لدينا أرنب سمين ويستحسن ألا تأكل منه .. وشوربة خفيفة .

فـريد : ما هذا الكلام السخيف ؟ انني أحب الأرانب وأحب الشوربة وسآكل من الاثنين ..

ليـلى : انت تقلقني يافريد .. ففي المرة الماضية عندما كشف عليك الدكتور أخبرني عندما كنا على حدة . أنه يجب أن أهتم بصحتك .. فعندك الكبد تتضخم والضغط عندك مرتفع بدرجة خطيرة .

فـريد : لا أشعر بشيء من هذا فأنا في حالة عادية جدا ..

ليـلى : ابدا .. ليس ضغطك عاديا .. ولكنه بالنسبة لسنك خطير كما توجد أعراض أخرى .

فـريد : اعراض أخرى ؟ وما هي ؟

ليـلى : يحسن الا أتحدث عنها الآن .. فلا أريد أن أقلقك .. اسمع يا فريد .. اذا أردت أن تأكل الأرانب فالأفضل لك أن تتناول ثلاثا من حبات الهوميوباتيك التي تتعاطاها بانتظام

فـريد : وما فائدتها ؟ على كل حال سأبتلعها لكي أرضيك فقط ..

ليـلى : والحلوى ممنوعة ..

فــريد : لماذا ؟ وما هى الحلوى الليلة ؟

ليـــلى : أسوأ أنواع الحلوى وأكثرها ضررا لكبدك .. انهـا شيكولاته بالكريمة .. وأنت ترى أننى عندما وجدتك حزينا عند الغداء قررت أن أهـديك شيئا يعجبك ويدخل السرور على نفسك .

فــريد : ومع ذلك فانك تحولين بينى وبينها ..

ليـــلى : لا ترفع صوتك يا عزيزى .. يجب أن تأكل ببطء يافريد .. على مهلك .. انت لا تمضغ طعامك وقد أخبرنى الطبيب أن معدتك متعبة .. وأن الانسان يحفر قبره بأسنانه وذلك عندما لا يمضغ طعامه .. فأنت تترك كل عمليات المضغ لمعدتك .. ثم لا تنس أنك معرض للاصابة بقرحة فى المعدة ..

فــريد : لدى معدة أقوى من معدة النعامة .

ليـــلى : ان النعامة التى لا تمضغ طعامها تصاب بقرحة أيضا .. واليك الشيكولاتة .. تذوقها اذا شئت .. قليلا منها فقط .

فــريد : « ساخرا » هل أمضغها أيضا ؟

ليـــلى : لا تسخر يافريد . فالصحة مسألة هامة جدا .. فعندما تكون عاجزا تجلس على مقعد له عجلات ستأسف على

انك لم تســتمع الى نصيحتى .. والآن اجلس .
استرح .. واهضم جيدا .

فــريد : « نافد الصبر » لا رغبة لى فى الراحة .. وكنت سأقترح
عليك أن نخرج لنشم الهواء فرأسى ثقيل .

ليــلى : « فى لهجة الطبيب » أنت تعلم ما أخبرتك به يافريد ..
فرأسك ثقيل وهذا من أعراض المرض .. والأحسن
أن تنام .. ودعنى أتحسس كبدك .. وأرى ان كانت
منتفخة .

فــريد : سأنزع سترتى وأترك لك جسمى .. ولك أن تضعى
يدك على كبدى كما تشائين .. يا الهى هــل أنت
مجنونة ؟ ان كل أظافرك توجعنى .. انك تؤلميننى
بشدة .

ليــلى : وهل لمستك أنا ؟ اننى لم أضع يدى على جسمك حتى
الآن .. ولكن انظر كيف كان رد الفعل لا شك انك
انسان مريض .. ولذلك يجب أن تعيش الحياة التى
تتناسب مع صحتك .. يجب أن تكون حياتك هادئة .

فــريد : هذا يكفى يا عزيزتى .. دعينى ارتدى ملابسى .. هذا
شىء غريب .. لا أكاد أرفع رأسى حتى أشعر بدوخة
.. رأسى يدور .. هل لأننى نمت مستلقيا على ظهرى

أم أن هذا بسبب ضغط الدم .. أم لأنك ضغطت بأصابعك على كبدى ؟

ليـــلى : لا هذا ولا ذاك .. انها كبدك .. لقد شحب وجهك .. أنت مريض .. صدقنى .. ويجب أن تذهب فورا الى فراشك ..

فـــريد : الى الفراش ؟ هذا جنون .. انها لم تبلغ الثامنة بعد .. قلت لك اننى أريد أن أخرج « ويجلس ويضع قدميه على الأرض » لا أستطيع حتى النهوض .

ليـــلى : تماما كما قلت لك يافريد .. يجب أن تذهب الى الفراش .. حالا وسوف أستدعى الطبيب

فـــريد : « بصوت الرجل المريض جدا » أشكرك يا حبيبتى ..

الاستاذ : هذه هى النتيجة الحزينة لهذا الاهتمام البالغ بصحة الزوج .

« الجرس يدق .. والموسيقى تعزف مقطوعة جنائزية »

الفصل السادس

رحلة العمر

الاستاذ : سيداتى سادتى : أحب أن أقول لكم اليوم انه اذا تصادف أن اشـــترك اثنان من المسافرين فى كابينة واحدة فى سفينة واحدة فان الأيام الأولى ستكون صعبة . فأحدهما يريد هواء أكثر والآخر يريد هواء أقل .. أحدهما يريد أن يصحو فى ساعة مبكرة والآخر فى ساعة متأخرة .. وهكذا شيئا فشيئا .. ولكن بمرور الوقت ينتهى المسافران الى اتفاق بينهما .. ويتعود كل منهما على طباع الآخر .. والزواج رحلة خلال الحياة .. وكل من المرأة والرجل يشترك فى هذه الرحلة بذوقه الخاص الذى كونه قبل الزواج ومن المحتمل ألا تتفق هذه الأذواق فى كل شىء .. أو حتى تتشابه ولكن القليـــل من المرح والحب يكفى لذوبان كل الخلافات بينهما .. ويصبح التفاهم هو سيد الموقف واذا لم يتم التفاهم بينهما فسيكون هذا المشهد الذى سأطلعكم عليه حالا .

« نحن الان عند العروسين مرة اخرى وبعد زواجهما بثلاث سنوات فى نفس الشقة »

ليـــلى : فريد .. أنت يا فريد .. أبعد رجليك ؟

فــريد : « يقرأ صحيفة » : ماذا جرى ؟

ليـــلى : ابعد رجليك .. انهما قذرتان .. وأنت تضعهما على المقعد الجديد .. ان هذا المقعد قد وضعت له غطاء جديدا .

فــريد : أنا فى حاجة لكى أريح قدمى لقد ظللت طوال اليوم واقفا .. وهذه الليلة أنا متعب جدا .. ثم ان هــذا المقعد اشتريته من مالى ومن دم قلبى وعرق جبينى.. انه ملك لى .

ليـــلى : اذن ضع قدميك كما تشاء ولكن غدا اذا جلست على هذا المقعد بفستان أبيض فسيتسخ هذا الفستان ...

فــريد : كارثة .. هذه هى الكلمة التى أبحث عنها .. أنا الآن أقرأ فى الصحيفة عن الزلزال الذى وقع فى أواسط أفريقيا وراح ضحيته عشرة آلاف نسمة .. ما قيمة هذه المأساة الانسانية الهائلة اذا قورنت بمأساة أروع وأعظم . بمأساة البقعة الســوداء التى تسقط على فستانك الأبيض .

ليـــلى : أنت سخيف ... وكلما فكرت فى تصرفاتك أصابتنى الحيرة أنت لا تفهم فى هذه الأشياء ولا أدرى ماذا علمتك أمك فأنت بعد أن تستحم تترك البانيو مليئا

بالماء ولا تكلف نفسك مشقة تفريغ الماء .. ثم ترش الماء فى كل مكان وتترك أمواس الحلاقة وفرشـة الأسنان فى مكانها قذرة .. دون أن تغسلها .. ومكتبك فوضى .. وبعد ذلك كيف تتوقع منى أن أنظم البيت وأنظفه وكيف أعمل فى هذه الظروف الفظيعة ..

فـريد : أنا لا أغســل فرشة الأسنان لأن الصابون ردىء ويفسدها .. ومكتبى ليس فوضى كما تقولين فكل أوراقى منظمة على طريقتى الخاصة والوقت الوحيد الذى أعجز فيه عن الحصول على ما أريده من الأوراق هو عندما تقومين أنت بترتيب مكتبى .

ليـلى : مرة واحدة رتبت فيها مكتبك .. فقد كنت أتوقع زيارة بدرية وكريمة ولذلك دفعنى الخجل الى تنظيم مكتبك حتى لا يبدو بهذه الصورة الفوضوية التى تعجبك .

فـريد : اذا كان أصدقاؤك يجعلونك تخجلين منى فلا داعى لدعوتهم هنـا مرة أخرى . ولن أفقد شيئا كثيرا .. فبدرية سيدة غبية وكريمة سيدة شريرة .. ولا أطيق النظر الى هذه ولا الى تلك .. ولا أفهم أبدا كيف أنك جعلتهما أعز صديقاتك ...

ليـلى : وهل تظن اننى أستريح الى اختيارك لأصدقائك . فصديقك فتحى بلطجى يستغلك ويبتز أموالك .

فـريد : انه أحد رجال الأعمال الذين يحبون اهتمامى بأعمالهم ومصالحهم .

ليـلى : وهذا يحدث طبعا عندما تصاب أعمالهم بالخسائر الفادحة .. أما صديقك ابراهيم فهو القرف والملل معا انه يتحدث الساعات عن السياسة والمال والأدب .. على الرغم من أننى أعلم فى النهاية أنه لا يفهم شـيئا من هذا كله .. وكل تنبؤاته خطأ فى خطأ .

فـريد : هذه العبارة اقتبستها منى . .

ليـلى : ربما سأترك لك هذا الصديق ابراهيم .. سأتركه رغم أن أثره قوى عليك ..

فـريد : أى أثر ؟

ليـلى : المشاغبة .. هذا هو الأثر فأنت أصبحت مشاغبا .. مجادلا ولم تكن هـكذا قبل اليوم .. فعندما كنـا مخطوبين كانت كل صديقاتى يرين فيك شابا فاتنا . . أما الآن ــ وهذا رأى صديقتى كريمة ــ فأنت شاب لطيف ولكن من السهل أن تكون مملا .

فـريد : ألاحظ أن كريمة هذه مهذبة . وهل تسمعين الى كل آرائها دون احتجاج ..

ليـــلى : لا .. وانما نفيت هذا عنك بسبب اخلاصى لك أما فى قلبى ..

فـــريد : فى قلبك ماذا ؟

ليـــلى : فى قلبى أن كلامها فيه كثير من الصدق .. فلست انت مملا وان كنت تلقى خطبا طويلة وألاحظ انك جاد جدا فى عملك .. وبعد أن تفرغ منه لماذا تواصل المناقشات الحامية مع صديقك ابراهيم هذا .. ؟ ماذا يعنيك من أمر الاضطرابات فى الجزائر وأزمة البترول فى العراق ؟ لماذا كل هذه المعارك مع انك لست أكثر من المهندس فريد .. ولست وزيرا للخارجية ولارئيسا للجمهورية . لماذا لا تهتم بزوجتك التى تحتاج اليك.. بدلا من اهتمامك بشئون العراق التى فى استطاعتها أن تدير شئونها وحدها وان تكون فى غنى عنك .

فـــريد : « فى ضيق » لا أدعى أننى سياسى .. انما مواطن له وعى ومتوسط الذكاء ــ أو هكذا ارجو . وانا مهتم بكل الشئون العامة .. اما اهتمامى بك فليس هناك جديد اهتم به والا .. فقولى لى ماذا عسانى أن أصنع لك ؟

ليـــلى : فى استطاعتك أن تذهب الى السينما التى استمتع بها كثيرا ولو كان عندك قليل من الخيال لفهمت اننى بعد

أن أمضيت اليوم كله أنتظرك وأنظف أثاث بيتنا وأطبخ لك طعامك لعرفت أننى فى حاجة الى بعض الفسحة هذا المساء .. لو كان عندك خيال.

فـريد : لو كان عندك أنت أقل عاطفة لى لفهمت أننى بعد عملى الذى استغرق طول اليوم لكى أحضر لك الطعام وأشترى لك الملابس وأدفع لك ثمن هذه المقاعد وكل أثاث البيت لعرفت أننى فى حاجة الى النوم مبكرا فى بعض الأحيان .. ولا داعى لأن أذكرك أن ٩٠ فى المائة من أفلام السينما تافهة وسخيفة .

ليـلى : أعلم جيدا أن كل شىء فى نظرك سخيف وتافـه .. فصديقتى بدرية سخيفة .. والسينما سخيفة ولا بد أننى أيضا سخيفة .. أما ذلك الجلف الثرثار صديقك ابراهيم وذلك البلطجى صديقك فتحى فهما وحدهما ليسا من السخفاء .. مع أنك مخطىء فى هذا كله .. فالسينما ليست سخيفة وكريمة التى تحمل شـهادة وليست بلهاء ، ترى أن السينما هى أهم الفنون فى هذا العصر .. ومن رأيها أن أفلاما مثل « حب بعدالغروب» و«الشمس تشرق ثانية» .. و« الوجه الضاحك » .. كلها أعمال فنية كبرى وأنا شخصيا أعتقد أن الفيلم المعروض الآن فى السينما المجاورة لنا مؤثرا جدا ..

أكثر من أية قصـــة أعرفها .. ولو كنت منك لذهبت لرؤية هذا الفيلم لأنه درس مفيدلكل زوج يأخذ زوجته قضية مسلمة .

فــريد : « متضايقا » سنذهب الى السينما .. أنا مستعد .. أنا موافق على الرغم من أننى لم أخلع حذائى بعد ..

ليــلى : « بمرارة » لاحظت ذلك .. ولهذا فلا داعى الليلة . لقد تأخرنا يافريد .

فــريد : غدا نذهب .. أما الليلة فسننام فى ساعة مبكرة .

« صمت .. ويذهبان الى غرفة النوم ويخلع كل منهما ملابسه » .

ليــلى : لاتلق بملابسك فى جميع أنحاء الغرفة .. فأنا مضطرة الى كيها فى الصباح .. بينما تظل أنت تبحث فى كل مكان عن حذائك .. ضع الحذاء فى جانب من الغرفة .. وضع بنطلونك على أحد المقاعد .. واطوه .. ليس هكذا .. ضعه أولا على شماعة .. ثم علق الشماعة على هذا الكرسى .. ماذا تفعل الآن ؟ لا تفتح النافذة

فــريد : أنت تعلمين جيــدا أننى لا أستطيع أن أنام دون أن يكون هناك هواء منعش .

ليــلى : فى الصيف لامانع ولكننا الآن فى الشتاء ان الجو رطب وبارد ولا أريد أن أصاب بذبحة صدرية .. وكان فى

نيتى أن أتغطى ببطانية أخرى .

فـــريد : « يتنهد » اذا كان لابد .. فضعى البطانية عليـــك أنت ..

« ينامان فى نفس السرير . . سكوت طويل .. الفاظ غير مفهومة وتنهدات »

ليـــلى : « تتململ » لا .. ليس هكذا ..

الاستاذ : وهناك أسباب للخلاف بين الزوجين ترجع الى أن واحدا منهما متفائل فلا شىء يضايقه أكثر من نظرات التشائم .. ولا شىء يضايق المتشائم الا تلك الثقة الهائلة التى يستمتع بها المتفائل .. واليكم هذا المشهد :

* * *

فـــريد : لا أريد أن نذهب لأمك الليلة . فهذا هو عيد العمال ولا توجد وسائل للمواصلات فى المدينة كلها .. فكيف يمكننا الوصول الى بيت أمك والرجوع الى بيتنا ؟

ليـــلى : ربما وجدنا سيارة تاكسى .. أو اذا اقتضى الأمر نعود على أقدامنا .. وأنت تشكو دائما من انك تزداد سمنة .. وأنك لا تقوم بأية رياضة .. فهذه فرصتك..

فـــريد : نرجع على أقدامنا .. كيف ؟ وأمك تبعـــد عنا أميالا

وأميالا .. ولو كان الجو لطيفا لما كان هناك أى مانع ..
ولكن افرضى أن السماء أمطرت ..

ليـلى : ولماذا تمطر ؟ انها صافية .. وأنت تنظر دائما الى الجانب الأسود من كل شيء ..

فـريد : وأنت تنظرين الى الجـانب الأبيض من كل شيء .. فكيف تعرفين انها لن تمطر .. ؟

ليـلى : اذا أمطرت فسيكون لدينا متسع من الوقت نأسف فيه على ملابسنا التى ابتلت .. ولو سمعك لقال انك من هواة التنبؤات السيئة .

فـريد : لا أهوى هذه السخافات .. وانما أنبهك فقط الى احتمال سقوط المطر ..

ليـلى : ليس لديك دليل واحد على أن المطر سيسقط .. وكلّ ما هناك أنك تتخيله كما تتخيل ثلاثين مرة فى السنة ان الحرب ستنشب غدا ..

فـريد : مرتين فقط وكنت على صواب ..

ليـلى : هذا صحيح ولكنك أخطأت فى مئات المرات .. وأفسدت بذلك أحسن سنوات حياتنا فعندما تسافر تظل مهموما طول الوقت تتخيل حقائبنا التى قد تضيع والتى قد لا تسافر معنا فى نفس القطار ..

فـريد : ليس هذا تخيلا .. ألا تذكرين ذلك اليوم الذى تركنا فيه حقائبنا على حدود سويسرا لأننا لم نعرف أنه كان ينبغى أن نذهب بها الى ادارة الجمرك ؟

ليـلى : أذكر ذلك .. ولكن كانت هذه حالة واحدة ضمن آلاف الحالات .. ولن تحدث بعد ذلك فالآن نحن نعرف أنه يجب علينا عرض حقائبنا على الجمرك .. وأنت تنجح دائما فى جعل كل رحلة سلسلة من التعاسات .. والا فما معنى هذا كله ؟ هل تحب أن أسوق لك أمثلة أخرى ؟ فعندما أتأخر أنا أو أى طفل من أطفالنا عن الطعام فأنت تتخيل أنه مريض أو أن سيارة داسته فى الطريق وتظل ترقب المصعد واذا لم يصل فى عشر دقائق اتصلت بالبوليس .. ولو فرضنا الآن أن هناك ألف سبب وسببا فانك تختار أسوأ الاحتمالات دائما ..

فـريد : ومن خلال توقعى لأسوأ الفروض أستطيع أن أمنع وقوعه فأنا خائف دائما أن أفقد حقائبى ولذلك أفتش عنها وأضع عينى على الشيالين واتبعهم بدقة .. فأنا خائف من أية مأساة تقع لنا ..

ليـلى : لا أعتقد أنك نجحت فى هذا ..

فـريد : وهل تعتقدين أنه كان يمكن أن أكون أحسن من هذا لو أنني لم أهتم بشيء .. ؟

ليـلى : لا أدرى .. ربما .. فان الذى لا يهتم بشئونه المالية يبدو أنه ينفق المال أقل منك وأنا لا أطلب اليك أن تلتزم جانب الحذر .. وكل ما أطلبه هو أنه عنـد ما تقلق لافتراض واحد يجب أن تعلم أنه واحد من بين ٩٩٩ افتراضا آخر لا بأس بها جميعا .. وليس هـذا تفاؤلا يا فريد ولكنه الادراك السليم .

فـريد : ربما كنت على صواب .. فأنا ميال دائما الى النظر الى الجانب الأسود .. وكما قال الطبيب ربما كان السبب هو حالتى الصحية الراهنة .. فأنا أشعربخمول وأنا آسف يا ليلى « سكوت طويل » .. ولكن على أية حال اذا لم تمطر الليلة فكيف نرجع من بيت أمك الى بيتنا ؟

* * *

الأستاذ : هـذا المشهد يكفى للدلالة على ما أردت أن أقوله لكم .. وهناك شيء آخر هو أن هنـاك كثيرين من الأزواج يحرصون على الاحتفاظ بقائمة للمتاعب . فلا يكاد يتشاجر الواحد منهم مع الآخر حتى يخرج القائمة ويروح يثيرها بندا بندا .. أما النتيجة فهى المشهد التالى .. فقد ذهب فريد لشراء بعض الحاجات

واتفق مع زوجته على أن يلتقيا فى الرابعة والربع تماما خارج المحل رقم ٢٨ بميدان الاوبرا .. ولما كان فريد رجلا دقيقا فى مواعيده . ذهب الى المكان المتفق عليه فى الساعة الرابعة بالضبط ولم تكن زوجته هناك فثار وغضب وقال فى نفسه ان زوجتى هكذا دائما لا أمل فى تغييرها وظل يروح ويجىء على الرصيف نافد الصبر وفى غضب .. وأعلنت الساعة أنها بلغت الرابعة والنصف .. والخامسة .. وقال فريد فى نفسه : ربما داستها سيارة .. وانزعج لهذا الخاطر الأسود .. وانطلق الى البيت ليتصل بالبوليس .. ولقيته زوجته أمام الباب..

ليـــلى : هذا أنت ؟ أين كنت ؟

فــريد : تعلمين جيدا أين كنت انتظرك خارج رقم ٢٨ بميدان الأوبرا .

ليـــلى : تقصد محل ٢٣ بميدان الاوبرا ؟

فــريد : كلام فارغ أنا قلت محل ٢٨ .. وكررتها عدة مرات لكى تتأكدى منها ..

ليـــلى : كيف تقول هذا يا فريد .. اننى أقسم بالله أنك قلت لى ..

فــريد : ان هذا القسم لا يقدم ولا يؤخر كيف أقول لك رقم ٢٣ وأنا أعلم أنه رقم ٢٨ .. اننى لا أعرف ان كان يوجد مثل هذا الرقم الذى تتحدثين عنه ..

ليــلى : لا يوجد . هذه هى النقطة ..

فـريد : حسنا ولماذا جئت الى البيت ؟

ليــلى : جئت الى البيت مباشرة لأنه لا يوجد هذا الرقم وقلت فى نفسى : وما معنى انتظارى هناك ان فريد لا يستطيع أن ينتظرنى خارج رقم ٢٣ .. لأنه لا وجود لهـذا الرقم .

فـريد : ألم يخطر لك على بال أن تبحثى عن الرقم ٢٨ على الجانب الآخر ؟ ألم تتصورى أننى ربما كنت مشغولا بك ؟ وأنا أقف هناك أفكر فيما أصابك .. ربما أغمى عليك .. أو اختطفك أحد .. أو أنك جثة هامدة فى بعض الشوارع ..

ليــلى : ما هذه الأفكار الشاذة .. طبعا لم يخطر لى على بال شىء من هذا كله .. يا عزيزى فريد أنا أعرفك جيدا.. ولكن لم أتصور أبدا أنك مجنون الى هذه الدرجة ..

فـريد : أنت بلا قلب ..

ليــلى : وأنت لا تستخدم عقلك .. أنت تتوهم كل شىء دائما .. وأنت لم تذهب الى أمى يوم عيد العمال خوفا من المطر .. وطبعا لم تمطر السماء فى ذلك اليوم .

فـريد : ماذا تقصدين ؟ لقد كان من الممكن أن تمطر .

ليــلى : كل هذه المناقشات الطويلة لأنك انتظرتنى اليوم .. هل تعرف بأى شىء يذكرنى هــذا ؟ يذكرنى بذلك اليوم عندما أخطأت فى ركوب القطار وتركتنى وحدى أنا والأطفال على الرصيف .. وبلا تذاكر ..

فـريد : وهل نسيت أننى ناديتك لكى تلحقى بى ؟

ليــلى : وهل نسيت أننى طلبت اليك أن تنزل .. وهل تذكر اليوم الذى وضعت فيه مفاتيح السيارة فى جيبك وكان على أن أمشى تحت المطر خمسة أميال ؟

فـريد : وهل تذكرين اليوم الذى دعينا فيه الى العشاء عنــد المدير وجعلتنى أتأخر عن الموعد ساعة كاملة .

ليــلى : ولكن عندما وصلنا لم يكن حتى صاحب الدعوة قد حضر .. تذكر هذا يا سيدى ..

* * *

الاستاذ : مناقشات صغيرة يثيرها الزوج وزوجته .. والعلاج الوحيد هو النسيان .. يجب أن ينسوها جميعا . . وأذكر أن فيلسوفا نصح الناس قديمــا فقال لهم : تذكروا أن تنسوا أو لا تنسوا أن تنسوا .. فكل يوم يأتى بمشكلة والانسان يجب أن يعيش فى اللحظــة

الحاضرة .. بدلا من أن يعيش فى الماضى .. بدلا من نبش الماضى .. وبدلا من توقع أسوأ الفروض . . وتوقع التعاسة بين لحظة وأخرى .. وبدلا من الخوف من الغد وما سيأتى به وفى دنيا العواطف لا وجــود للمستقبل .. وليس هناك غد .. وانما الذى يهم هو اليوم فقط والحياة يجب أن نعيشها من يوم الى يوم.

الفصل السابع

آداب السلوك

الاستاذ : سيداتى وسادتى : أريد أن أعـود بكم الى بعض الموضوعات التى ناقشناها من قبل وان نجعل منهـا قواعد للسلوك عند المتزوجين فهناك لسوء الحظ كثير من الرجال والنساء يستمتعون بأخلاق طيبة وخصوصا مع الأجانب .. ولكن سلوكهم مع زوجاتهم مريع فهم لا يرون أن الأدب وحسن السلوك يجب أن يبـدأ بالبيت . فالواحد منهم يقول لنفسه : أنا لا يهمنى فأنا لم أتزوج لاضاعف متاعبى أو مشاكلى وانما تزوجت لاستمتع بحريتى .. واذا لم يعطنى الزواج حريتى .. فلا كان هذا الزواج ..

وهذا خطأ فظيع . لأن الزواج أكثر من أية علاقة أخرى بين الرجل والمرأة يؤدى بنـا الى الاخلاص والوفاء . ونحن نعلم أنه فى بداية أى حب يحرص المحبون على اخفاء حقيقتهم بل ينتحلون صفات أخرى

ليست لهم .. حتى لا يفسد الجو الشاعرى الذى يتطلبه الحب ... بينما نجد أى رجل أو أية امرأة اذا قضى كل منهما بضع سنوات مع الآخر فانه يعرف عنه كل شيء .. معنى الخير والشر والفضيلة والرذيلة ونحن الآن أمام زوجين طيبين شابين يستحقان الحب والاحترام وكل زوجين مثلهما يستحقان تقديرنا وهما ولا شك بشر . ولا يوجد أحد بين البشر بلا عيب أو بلا نقص ومن هنا كانت الصعوبة فى أن تكشف المرأة نفسها أمام زوجها .. أن تقول كل شيء .. والسؤال الآن هل اذا عرفت الزوجة طبيعة زوجها وفهمت ما يعجبه ومالا يعجبه هل يكون كلامهما هكذا :

اسمع يا حبيبى .. أنا أكون صريحة جدا معك . أنت خيبت أملى .

لهذه الأسباب أنا شخصيا لا أميل الى مثل هذا الموقف لأن الزوج لا يحتمل هذه اللهجة من زوجته .. بل انه لا يحتمل هذا الكلام لو كان صادرا عن ضميره .. وان كان لا مانع أبدا أن يستمع الانسان من حين الى حين الى بعض الحقائق عن نفسه بشرط أن تقال هذه الحقائق بصورة لا تؤذى كرامته فالانسان عند ما يفقد ايمانه بنفسه يصبح فى أسوأ

حالاته المعنوية ، وعلى كل حال يكفى ألا يفقد الزوج ثقته بنفسه . لأن تحطيمه أمام عينيه جريمة فى ذاتها فكل كائن حى يحتاج الى بعض الأوهام سواء كانت تتعلق بنظراته الى الحياة أو احساسه كمحب أو بقواه العقلية أو نجاحه الاجتماعى .

وفى بعض الأوقات يبدو ضروريا أن تكون الزوجة صريحة بل وناقدة أيضا . على أن يتم ذلك دائما فى حذر ولباقة فالكرامة المجروحة اصابة قاتلة للحب تجعلنا نكره من يجرحنا وفى كل المناقشات الزوجية كما هو فى الجراحة يجب أن تعالج الموقف بأقصى درجات الحذر ومراعاة للحالة العقلية للمريض . وعن طريق الاسراف فى الصراحة نجد بعض المتزوجين يرتكبون حماقة ضد الحب والاخلاص غير أن العطف والحنان مفيدان فى هذا الموقف .. وذلك لأن الزوجة عند ما توجه نقدا شديدا لزوجها فانه سرعان مايبحث عن أخرى تمنحه الاعجاب الذى افتقده عند الزوجة .. « وهو يشير الى تلميذة رفعت اصبعها » .. نعم يا آنسة .. ؟

التلميذة : أعتقد أنك فى هذه النقطة لم توضح لنا معالم السلوك الذى يجب أن يتبعه كل من الزوجين .. كيف يستطيع انسان أن يقول الحق وأن يخفيه فى نفس الوقت ؟

فمن المؤكد أن لديك الآن مشكلة « الغير » أو « الآخرين » كما يقول الوجوديون : ان الغير هــو الجحيم كما يقول الفيلسوف الوجودى سارتر . . واذا أحسنت الفهم فالغير هو الجحيم لأننا نخاف من صورة أنفسنا التى عند غيرنا ومهما كان الصدق مرا فلا شك فى أن الحل الوحيد هو أننا نقبل وجهة نظر الغير الينا .. وهناك كثير من الصدق فى الصورة التى ترسمها الزوجة لزوجها مهما كانت خبيثة وأكبر من الصورة التى يرسمها الزوج لنفسه وعكس هــذا صحيح ولذلك ألا ترى أنه من الأفضــل أن نكون مخلصين لكى نكسب فى النهاية مهمــا كان الطريق صعبا وأنا أعرف عددا كبيرا من الأصدقاء كلهم من المتزوجين يرحبون بمثل هذه العواصف العابرة . بل يرون أن من الأفضل والضرورى هبوبها لتنقية هواء الأسرة .

الأستاذ : انها مسألة خلاف من الدرجة الأولى يا آنسة فهؤلاء الذين يرفضون أن يعرفوا أنفسهم على حقيقتها يرون أن مثل هذا الخلاف أمر ضرورى فالعاصــفة تنقى الهواء ولكن الطقس العاصف دائمــا لا يمكن أن يؤدى الى حصاد طيب بل فى بعض الأحيان نجد أن فقدان الثقــة بالنفس ، سببه كثرة المناقرة والنقد .

وهذا يزيد الموقف تعقيدا مثلا اذا نحن سخرنا من النقص الجنسى عند الرجل فيضاعف اضطرابه الى درجة خطيرة ويؤدى الى اضطراب حياته العاطفية فاذا قلت لزوج انه فاشل اجتماعيا فسيصبح خجولا مترددا ويصبح فشله الاجتماعى حالة مستمرة . فى هذه الأجواء العاصفة يجب أن يعرف الانسان كيف يتحكم فى نفسه وأن يتفادى مالا يجب أن يقوله من العبارات ولا شك أن النقد المتبادل من الممكن أن يكون جائرا ، وخاصة أنه يصدر عن أمزجة مختلفة فأنت لا تفهمين مثلا لماذا هو يضيع ثلاث ساعات كل يوم خارج البيت وتحت المطر البارد يتفرج على مباراة فى كرة القدم ولكنه هو أيضا لا يستطيع أن يفهم لماذا تريدين أن تذهبى الى حفلة موسيقية يوم الأحد ومن أجل مستقبل الأسرة من الخير لكما معا أن تفهمى ما فى مباراة كرة القدم من جمال ومتعة خاصة فزوجك هو الآخر قد يطلب اليك أن تحدثيه عن الموسيقى وعباراتها الجميلة وكيف أنها تتطور فى داخل السيمفونية وعن جوهر الموسيقى الحديثة ولكن السبيل الى تحقيق هذا الانسجام بينكما ليس بأن يعتقد الواحد منكما أن من الخطأ أن يختلف الزوجان فلا يجب أن تحكمى بالاعدام على متع زوجك وانما حاولى أن تفهميها واذا استطعت فشاركيه فيها .

التلميذة : « بلهفة وقبل أن تقاطعه تلميذة أخرى » ولكن يا سيدى الأستاذ ألا ترى أن هذا النوع من التفاهم الزوجى أكثر صعوبة هذه الأيام عند ما يرفض الأزواج الشبان مثل هذه القيود الحيوية ، وأنا شخصيا أذكر أنى قرأت قصة لكاتب كبير تصور حياة زوجين شابين تحت سقف واحد ولكل منهما سيارة خاصة وخدم وغرفة مستقلة ، انهذا الكاتبالكبير يصور لنا الأسرة التى يمكن أن تكون سعيدة .. فكلا الزوجين لا يرى الآخر الا فترات قليلة . هذه هى الأسرة المثالية فى نظرى .. أما هذهالأيام فالزوجانالشابان يجبأن يعيشا فى غرفة أو غرفتين وأن يهتم كل منهما بالآخر وفى مثل هذه الظروف يصبح الزوج أو الزوجة المعتلة المزاج كارثة . وقد رأيت هذا يحدث بين الكثيرين من أصدقائى . فهناك زوجات مستبدات يطاردنأزواجهن المساكين من درج الى درج ومن دولاب الى دولاب حتى لا يتركن لهم مكانا يضع الواحد منهم فيه قمصانه وجواربه . وهناك الزوجة التى تعتاد المكالمات التليفونية حتى ليصعب على أحد أن يتصل بزوجها . ولكن على هذا الزوج المسكين أيضا أن يدفع مبالغ طائلة ثمنا لثرثرة الزوجة .

مجموعة من التلميذات : وما رأيك فى الأزواج الذين ...

الأستاذ : « وهو يدق المنضدة بيده » سيداتى وسادتى لا أريد أن تتحول هذه المناقشة الى خلاف بين الجنسين فهذا ما يجب أن تتجنبه وكل تعليقاتكم معقولة ولا يسعنى الا أن أقول مرة أخرى ان الحياة المنزلية لها طريقتها فى خلق المشاكل . ويمكن حلها بالمرح والعطف . وفوق كل شىء بالاصرار على الترابط والعلاقات الوثيقة فليست مشكلة هنا أن تقول : هل نستطيع أن نعيش معا ؟ ولكن المشكلة أن تقول : وبعد ذلك نبحث عن الوسائل الى تحقيق ذلك . وهذا يعود بنا الى موضوع اليوم وهو آداب السلوك فى الزواج والمحادثات هى أهم شىء وهى سهلة بين المحبين . وكما يقول الأديب الانجليزى استيفنسون هناك موضوعان اثنان : أنا هو أنا ، وأنت هو أنت . فبعد بضعة شهور من الزواج نجد كلا من الزوجين يتعب من كلمة « أنا » عند الآخر ولكن فى الزوجية السعيدة نجد كلمة « أنا » هذه قد استبدلت بمالا نهاية له من التعليقات على الناس والحوادث ويصبح الحديث أكثر هدوءا ومألوفا ولطيفا كالوجبات التى تتناولها فى بيوتنا وتتألف من أطعمة بسيطة وأطباق جميلة .. كما أن على الزوج والزوجة أن يهتما اهتماما بالغا بوجود الآخرين . . فلكل منهما رصيد من الأفكار والفكاهات والذكريات مألوف عند الآخر . فاذا أحس الزوج أن زوجته قد

ملت حديثه وهو يروى للمرة المائة الدور الذى قام به فى معركة حربية .. وكيف أنه التقى بأعظم القواد فى هذه المعركة وعلى الزوجة فى هذه الحالة أن تلتزم الصمت . أما الآخرون فسيجدونه مملا . وعند ما تعرف الزوجة أن زوجها يحتقر أفكارها فهى مضطرة الى التزام الصمت . فالزوجة أو الزوج لا يجب أن يتوقع دائما من الآخر أن يقول شيئا جديدا . فكل منهما حريص على أن يظل لامعا فى عيون الآخرين .
ويجب أن يكون الزوجان قادرين على أن ينصت كل منهما للآخر دون ملل حقيقى أو ظاهرى بل ودون احساس بالمتعة وأنا أذكر لكم بهذه المناسبة أن أحد الأثرياء كان يحرص دائما على أن يروى احدى قصص البطولة التى اشترك فيها وكانت زوجته تتدخل دائما فى هذه القصة فعند ما يحاول الزوج أن يضيف شيئا جديدا فانها تذكره فيعود الزوج يروى القصة بشكل آخر .. وفى كل مرة يحاول الزوج أن يروى هـــذه القصة يضطرب أمام زوجته .. ويصبح الاثنان مهزلة أمام كل الناس .. وهذا بالضبط مالا يجب أن تفعله الزوجة أو الزوج أمام الآخرين . والصمت وقليل من عدم الاكتراث هو الحكمة الذهبية فى مثل هذا الموقف .. وانما يجب على الزوجة أن تحاول أن تفهم لماذا هو هو يسلك هذا السبيل فى حضور أشخاص آخرين..

فاذا كان الغرور هو الذى يملى عليه مثل هذه المواقف فعليها أن تبتسم ولا تقول شيئا فالتضامن شىء ضرورى لرفاهية المتزوجين كما هو ضرورى لأية هيئـة أو مؤسسة أو حكومة .. واليوم .. لقد أمضينا وقتـا طويلا فى مناقشة هذه الملاحظة الخارجة عن موضوعنا وقد آن الآوان لأن نعود الى طريقتنا التى تعودناها .. وسأقدم لكم على المسرح ليلى وفريد .. فلأول مرة يدعو فريد مدير المصلحة التى يعمل بهـا وزوجته للعشاء وهـذا حادث مهم جدا بالنسـبة له فكل مستقبله قد يعتمـد على الأثر الذى يتركه فى نفس هذين الضيفين ولذلك حاول أن يبصر زوجته بأهمية هذا الزائر الكبير لأنه يعلم أن زوجته تنقصها اللباقة فى هذه المواقف .

التلميذة : ولكن لماذا ؟ ان هذا الكلام متناقض فحتى الآن نرى ليلى قد بدت كفتاة رقيقة ومهذبة .

الأستاذ : يجب أن أنبهك يا آنسة على قدر ما نعلم جميعا أن ليلى لا هى ممثلة مسرح ولا هى شخصية حقيقيـة فهى لا تعدو كونها ممثلة أعدت للقيام بأدوار مختلفة . وأدوار متناقضة أيضا .

ففى بعض الأحيان تمثل دور الزوجة النموذجية فتسلك الطريق السليم وفى بعض الأحيان تمثل دور

الزوجة التى تنغص حياة زوجها . وعلى أى حال ففى هذه الليلة نرى فريد خائفا من أن يفلت لسان ليلى وتفسد عليه هذه الفرصة النادرة .

* * *

فـريد : اسمعى يا عزيزتى أنت تعلمين أننى لم أحاول الا نادرا أن انصحك باتخـاذ موقف معـين ازاء أى حادث اجتماعى قبل أن يقع ولكن الليلة أرى أن الأمر مختلف فهذه الليلة تعنى شيئا هاما لنا نحن الاثنين وأرجو أن تكونى حريصة فى كل ما تقولين .

ليـلى : « فى ضيق » اننى دائما حريصة على ما أقول .

فـريد : لا لست حريصة فهناك أوقات تطيش منك عبـارات مثيرة لا يتصورها العقل .

ليـلى : قل يا فريد بصراحة انك تريد أن تصفنى بالبلاهة ..

فـريد : لست بلهاء يا عزيزتى وانما أنت فتاة ملهمة وأنا أريد أن أوجه الهامك الى شىء ينفعنا فالمدير رجل مغرور وتنطبق عليه كل صفات الموظف الحكومى . ضعى هذه الفكرة فى رأسك . فهو رجل يقضى طول الوقت يستمع الى الموظفين وهم يقولون له : نعم يا سيدى لا ... يا سيدى ... وعليك أنت ألا تعارضيه مطلقا ..

ليـلى : وهذا دليل على ضعفه كمدير وضعف أى انسان مهما

كان مركزه ما دام لا يقوى على معارضته أحد ..

فــريد : فكرة رائعة وسأجعلك تكتبينها فى كتاب موضوعه « الحكم والأمثال » وأرجوك ألا تقومى باصــلاح ضيفك هذه الليلة . فلن يكون لديك وقت . والآن للمرة الثانية أقول لك انه رجل له أفكار تقدميــة يسارية اذا كان لا بد أن تعرفى هذا .. وهو مهم لأنه لا ينتسب الى الطبقات الوسطى .

ليــلى : ولكن زوجته يا فريد غنية جدا فعند ما تناولت العشاء معهما أذهلتنى الأبهة التى يعيشان فيها .

فــريد : ما أشد سذاجتك .. فالرجل يوزن بما يقول لا بما يعيش .. فله أفكار ثورية لا يجب أن تصدمك .

ليــلى : ولكنى ثورية يا فريد .. أكثر ثورية منه ..

فــريد : طبعا فهذا هو الخطر .. فالمدير ليس ثوريا حقيقة ولكنه يعرف تماما أنه بعد ثورة واحدة لن يكون مديرا .. انه يحب أن يستمع الى نفسه وهو يتكلم ، اذن دعيه يتكلم . وثالثــا انه يغازل كل الموظفات فى المصلحة وبصورة صارخة وهو غير مخلص لزوجته . وهى تعلم ذلك جيدا . ولذلك لا تتحدثى اليه عن الأزواج غير المخلصين ولا الزوجات الغافلات عن عبث الأزواج ورابعا لا تجعليه يشعر بأننا فى حالة مالية جيدة والا

امتنع عن منحى أية علاوة . ولا تجعليه يشعر أننا فقراء . فمثل هذا الرجل لديه احساس طبقى قوى يجعله يتحيز الى كل من ينتسب الى طبقته .

ليلى : « بصبر نافد » انك تجننى يا فريد .. كيف تتوقع منى أن أبدو غنية وفقيرة فى وقت واحد ؟

فريد : كيف تحتفظين بتوازنك فوق حبل مشدود ؟ فالبهلوان لا يخاف ولكنه يتمكن من الاحتفاظ بتوازنه وهذا هو المطلوب منك فامشى على الحبل هكذا فهناك ترقية تنتظرنى فى الشهور الستة القادمة وأنا أريد أن أحصل عليها ولكن اياك أن تذكرى شيئا من ذلك مهما حدث فقد دعوتهما عن قصد وقبل موعد الترقية بوقت طويل حتى لا يظن أن هذه الدعوة لها علاقة بالترقية هل فهمت ؟

ليلى : نعم فهمت .. وأنا على يقين أن المدير سيفهم أيضا يا عزيزى فريد أن الباعث على تصرفاتك بعيد جدا .

« يدق الجرس . الجرسون الذى استأجره فريد والذى كان يعمل حانوتيا يعبر الحجرة ويفتح الباب .. فريد يروح ويجىء ويتظاهر بعدم الاكتراث وليلى تضع المساحيق على انفها أمام المرآة وتدخل زوجة المدير .. والمدير وراءها وعليه مظاهر الرياسة والادارة »

المدير : جميل منك أن تدعونى الى بيتك .. فأنا وزوجتى نكره الجماهير ونحلم بشقة هادئة كهذه .

ليــلى : أرجو ألا تفعل ذلك فليست لهذه الشقة أية مزايا .. ضوضاء الشارع ورائحة المطبخ تنبعث من الفنـــاء الخارجى .. ولا توجد تدفئة .

فــريد : كونى منصفة يا ليلى فلهذه الشقة مزاياها .

ليــلى : « بعينين لامعتين » كيف تقول هذا بينما أنت تقول لى دائما أننا سننتقل الى شقة أخرى عند ما تحصل على العلاوة « فريد يسعل باضطراب » فلماذا تســعل يا فريد هل أصابك برد ... طبعا لا .. وانما فريد يريد أن يذكرنى بأنه لا يجب أن أتحدث اليك يا ســعادة المدير عن الترقية التى يستحقها . وأنا أعتقد أن هذه تصرفات أطفال فأنت تعلم جيدا أنه يريد الترقية كأى انسان آخر .

المــدير : « وهو يضحك » طبعا سينال الترقية يا سيدتى .. فزوجك يعتبر من ألمع رجالنا .. والتقرير الذى كتبه عن العلاقات الاقتصادية تقرير نموذجى وكلما قرأته أحسست بمتعة .. وعلى فكرة هل حدثتك عن أول مرة سافرت فيهــا الى الارجنتين وماذا حدث لى فى الجمارك هناك « يبتسم وهو واثق من أنه سيروى نكتة مسلية » .

فــريد : « مبتهجا » لم أستمع اليها قط ..

ليـــلى : لكنك يا فريد تتذكر ذلك بكل تأكيد . فأنا أعرف تلك القصة عن الجمارك فقد رواها لنا سيادة المدير مرة عند ما كنا نتناول طعام العشاء فى الشهر الماضى .

زوجةالمدير: « مسرورة لأنها تفادت الاستماع الى قصة زوجهـا مرة أخرى » أعتقد أن لديك ذاكرة قوية يا ليلى .

المـــدير : « فى ضيق » ذاكرة لا تخطىء ..

ليـــلى : طبعا لحسن حظى فزوجى لا يتذكر شيئا على الاطلاق ... ان ذاكرته ضعيفة بصورة لا يصدقها عقل ... انه لا يذكر أى تاريخ ولا أى رقم ...

فـــريد : « فى حرج » لا تصـــدق كلمة واحدة ممـــا تقوله يا سيدى ...

المـــدير : « ببرود » لا أريد أن أصدقها .. فمثل هذه الذاكرة تؤدى الى الاضطراب فى عمل كعملنا ..

ليـــلى : هل تعتقد يا فريد أن لديك ذاكرة قوية ... اذن قل لى فى أية سنة ذهب المدير وأبى الى المدرسة معا ؟ فقد كان أبى تلميذا معك فى نفس المدرسة ياسيادة المدير .

فـــريد : لا أعرف .. ربما فى سنة ١٩١٠ .

ليـــلى : « فى زهو » لا .. وانما فى سنة ١٩٠٣ على أى حال أنت تعرف أن المدير كان قد جاوز العشرين فى سنة

١٩١٠ وليس عليك الا أن تنظر اليه وتعرف كم كانت درجاته فى السنة النهائية .

فـــريد : ليس عندى أية فكرة .

ليـــلى : أحقا يا فريد ما تقول .. لقد كان أبى يحدثنا عن ذلك فى مساء الأحد .. ألا تذكر هذا ؟ لقد كان أبى متقدما على المدير ..

فـــريد : « يائسا » ولكن هذا لا يمنع المدير من أن يشق طريقا ألمع من الطريق الذى سار فيه أبوك « ولحسن الحظ جاء الجرسون المستأجر فى هذه اللحظة الحرجة وأعلن أن المائدة قد أعدت وذهب فريد يذوق الحساء فى قلق ثم نظر الى ضيفه فى فزع . وبعد ملعقة واحدة ترك المدير طبق الحساء » .

المـــدير : ماذا حدث فى التقرير الذى كتبته عن الأفران الجديدة هل سنراه قريبا ؟

فـــريد : « يشير بحركة عصبية الى الجرسون ليقدم النبيذ » أرجو ذلك قريبا . اننى أعمل فيه ليلا ونهارا فقد درست أمس كل المواد التى تحتاج اليها المصانع .

ليـــلى : ليس أمس يا فريد فقد ذهبنا أمس الى السينما ورأينا فيلم « وحدهم فى العالم » انه فيلم رائع يا سيدى . انه قصة رجل عجوز وزوج لسنوات طويلة وفجأة

أحب فتاة شابة .. لماذا تسعل مرة أخرى يا فريد ؟ هل تذكر يا فريد ؟

فــريد : « فى خجل » طبعا هذا صحيح فقد سمحت لنفسى أمس باستراحة قصيرة وهى أول مرة منذ شرعت فى كتابة التقرير وهى استراحة أنا فى حاجة اليها .. وعند ما عدت الى كتابته كنت مستريح النفس .

ليــلى : أصحيح هذا يا فريد ؟ لا أعتقد ذلك فعند ما عدنا الى البيت فأنت تعرف ماذا حدث « وقد اســتغرقت فى الضحك ونهضت من مقعدها وهمست فى أذنه وعادت الى الضيفين » وأنا لا أستطيع أن أخبركم عن هــذه الليلة التى قضيناها . وعلى الرغم من أنك وزوجتك تعرفان ماذا يحدث بين الزوج وزوجته ولكن كيف ينسى مثل هذه الأشياء .

* * *

الأستاذ : وهنا أنزل الستار على المشهد. .. فمعناه واضح تماما وأنتم تعلمون بلا شك أن كل شيء مبالغ فيه .. فقد تعتقدون أن ليلى ماكان يجب أن تتصرف بهذه الحماقة ولكن دعونى أذكركم أن المرأة اذا أثيرت أو غضبت فانهــا تقول أى شيء فهى لا تقلق نفســها بعواقب ما تقول . وهذا يرجع بى الى الفكرة الرئيسية وراء هذا الدرس وهى أن الانسان يجب أن يكون لبقا مع

زوجته أو زوجه كما هو كذلك مع الأصدقاء وأن يكون أكثر لبـاقة مع النـاس الذين يعرفهم ومن الضرورى جدا للزوجين أن يتبادلا الثقة والاحترام فالصراحة لا ضرر منها .. نعم نحن نتظاهر بأننا نحبها ولكن صراحة هؤلاء الذين عند ما يكونون صرحاء يقولون أنهم يحبوننا أيضا على ما نحن عليه ...

« يدق الجرس .. تنشب مناقشات بين الطلبة والطالبات .. وتتردد هذه العبارة .. .. : مشهد مستحيل .. ومواقف مخيفة »

الفصل الثامن

بعد عشر سنوات

الأستاذ : أعظم خطأ يمكن أن يرتكبه زوجان هو أن يعتقدا أن
الزواج الذى يستمر عشر سنوات دليل على أنه ناجح
وأنه سيستمر فى المستقبل من تلقاء نفسه .

ولكن أى علاقة فى الدنيا تبلى وتتمزق وبعد عشر سنوات من الزواج تبدأ الروابط القديمة فى التمزق والمشاعر تتآكل كالبساط القديم والآمال والطموح كلها تذبل ففى شهر العسل كانت ليلى تشعر شعورا أكيدا أن زوجها اللامع سيكون له مستقبل ناجح .

وكان هو الآخر من رأيها وكان يتمنى بفارغ الصبر أن يشغل الأماكن التى يشغلها رؤساؤه وهو يعتبرهم جميعا جهلاء تافهين . ومضت العشر السنوات وظل هؤلاء الرؤساء كما هم فى مراكزهم بل وظهروا أمامه كأنهم من الخالدين فى الوقت الذى كان فيه فريد يعد الساعات والأيام ولو كانت هذه الزوجة عاقلة فى

ذلك الوقت لشجعته وواسته والمثل يقول : « أسخفه شيء فى الدنيا هو المقارنات » فبعد عشر سنوات من الزوجية يصبح كل منهما ضارا مؤذيا لأن ذلك هو الوقت الذى تصبح فيه الزوجة حريصة على أن تقارن بين حياتها وحياة أصدقائها . وفى هذا الفصل نجد ليلى حريصة على أن تذكر كل مالا يجب ذكره .

* * *

فريد : ماذا حدث يا ليلى ؟ يبدو أنك مهمومة جدا ..

ليلى : أبدا كنت أفكر فى صديقتى شريفة ..

فريد : هل رأيتها اليوم ؟ وشقتها الجديدة هل أعجبتك ؟

ليلى : رائعة جدا فنوافذها تطل على أشجار وحدائق والشمس تملأها بأشعتها طول اليوم ولا بد أن الحياة تبدو مختلفة عندما يصحو الانسان من نومه فلا يسقط عليه الا القليل من ضياء الشمس هنا فى هذه الزريبة التى نعيش فيها .

فريد : كلامك مبالغ فيه يا ليلى ولا تنسى أننا فى الدور الرابع ...

ليلى : نعم .. ولكن غرفتنا تطل على فناء مظلم كأننا ننام فى أحد المناجم . طبعا أنت لا تشعر بذلك تترك البيت فى الصباح عند ما تكون الستائر مسدلة ويصبح هذا

البيت رهيبا بالنسبة لى بعد ذلك .. فالحوائط بلا طلاء وباهتة وتلك العجوز التى تسكن فى مواجهتنا وتطل من وراء الستائر القذرة المليئة بالحشرات فأين هذا من الأثاث فى بيت شريفة .. انها وضعت الأبسطة فى كل مكان فأصبح بيتها رائعا وأضافت الى ذلك الزينات فى جوانب البيت فملأتها بالتحف الجميلة .

فـريد : ولكنك لا تحبين التحف فى بيتك يا عزيزتى .

ليـلى : أنا لم أقل ذلك الا خوفا من أن أجرح شعورك ولأنى أعرف أنك لا تستطيع أن تشترى شيئا من الأثاث الأصيل .. وأنا لا أخفى عنك الحقيقة اذا قلت لك أننى لا أحب التحف الزائفة بل أكرهها أكره هذا النوع من المقاعد الذى لدينا انها تافهة وبلا قيمة . آه لو أعطتنى شريفة تلك المرآة الجميلة التى عندها .

فـريد : ولماذا تعطيها لك ؟ ولو فرضنا أنها أعطتها لك فماذا تفعلين بها ؟ ان لدينا كل ما نحتاج اليه من أثاث .

ليـلى : صحيح . غير أنه أثاث كريه ألا ترى ذلك بنفسك ؟ أنت لا ترى شيئا فأنت انسان غريب تعيش فى عالم وحدك . عالم ملىء بالمربعات والمثلثات والخرائط والجداول .. انك لا ترى الدنيا التى يراها سائر

الناس .. حتى تلك الليلة التى ذهبنا فيها الى المسرح لتلاحظ أن شريفـة قد وضعت دبوسا من الماس فى فستانها .

فـريد : ولماذا ألاحظ ذلك.. انتىلست منالمشتغلين فى مناجم الماس ولا تهمنى المجوهرات أبدا .

ليـلى : « وهى تحلم » انها قطعة من الماس وزنها سبعة أو ثمانية قراريط فلا بد أن زوجها غنى جدا .

فـريد : زوجها ؟ طبعا غنى لديه مصانع كبيرة ولكنك قلت لى مرة أنه شخصية مملة لدرجة مؤلمة .

ليـلى : ان معظم الرجال يبعثون عن الملل لدرجة البكاء . . ولكن لا مانع من البكاء اذا كان ثمن البـكاء من الذهب والماس الذى تضعه شريفة على صدرها .

فـريد : « بجفاف » لم أكن أعرف عنك ذلك ..

ليـلى : ولا بد أنك لاحظت على الأقل البالطو الذى كانت ترتديه شريفة ..؟

فـريد : لا ... واذا لم تخنى ذاكرتى أعتقد أنها كانت ترتدى فراء كالذى تضعينه أنت على كتفك ...

ليـلى : كالفراء الذى أضعه أنا ؟ يا عزيزى فريد ان فراءها جديد جدا . فراء ثعلب طبيعى فى حين أن الذى أضعه

أنا هو فراء جلد السيسى الذى كنت أضعه وأنا ما أزال فتاة صغيرة . ثم أنه قد تآكل فى أكثر من موضع .

فريد : ان أحدا لم يلاحظ هذا ..

ليلى : من قال لك هذا ؟ لقد لاحظت ذلك كل سيدة وأحسست بالخجل اليوم وأنا أزور شريفة لقد خجلت من أجلك أنت لا من أجلى أنا .

فريد : اذا كان من أجلى فلماذا تتعبين نفسك أنت ؟ واذاكنت تتصورين ان قطعة من الفراء أو فصا من الماس يخجلنى أو يجرح كرامتى فمعنى ذلك أنك لا تعرفيننى على حقيقتى .

ليلى : مع الأسف اننى أعرفك جيدا . اننى أعرف أنك عنيد وأنانى . وأنت تحتقرنى لأننى لا أقيم وزنا للشقة التى نسكنها ولأننى أهتم بالفساتين والمجوهرات التى لا أملكها . حسنا وأنا أحتقر احتقارك هذا ، فبيت المرأة هو المكان الذى تقضى فيه حياتها . أما مجوهراتها فرمز الحب الذى يكنه الرجل الذى اختارته ورمز لنجاحه أيضا . لا ألومك على شىء فأنت حتى الآن لم تحقق نجاحا يذكر فعندما كنا مخطوبين كنت تحدثنى عن مستقبلك العظيم بعد رحلتك الى أمريكا الجنوبية ، كنت

تقول لى انك ستكون أعظم خبراء هذه الشركة وبعد سنتين ستبلغ القمة .. ثم ماذا حدث ؟

فـريد : هل هو ذنبى لأن المدير قد رقى زوج ابنته وجعله رئيسا لى ؟

ليـلى : لا أقصد ذلك ولكن لا تنس أن هـذا يملأ نفسى بخيبة الأمل .. أما الليلة فقد تأكد لى ذلك من موقفك الذليل .

فـريد : وأنا ؟ ألا ترين أننى قد أصبت بخيبة أمل كبيرة ؟ فعندما كنا مخطوبين كانت وعودك كلها رائعة وعدتنى بأنك ستكونين نعم الرفيق والعون لى فى حياتى . فماذا جرى ؟ أما أنا فقد حققت نجـاحا كبيرا رغم ما تقولين فالبرلمان اقتبس تقريرى عن المعادن النادرة وأبحاثى عن المواد الصناعية فقد طبقت فى العالم كله. فهل أبديت أنت أى اهتمام بهذا كله ؟ أبدا ان النجاح المادى لا يهمنى ولذلك فأنا فى رأيك انســان فاشل ولكنك مخطئة فى هذا كله لأنك عندما تفقدين الثقة بى تثبطين همتى . ودعينى أقل لك شيئا لو فرضنا ان شريفة هذه كانت قليلة الذوق مع زبائن زوجها كمـا كنت أنت مع رئيسى لكان عقابها صارما . ولكن ماذا فعلت أنا لك ، لم أعاقبك ..

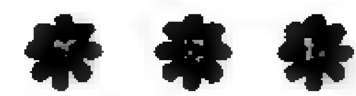
ليـــلى : اسمع .. هذا آخر ما عندى هل تعرف كيف عاملتى مدير شركتك ؟ ولماذا ؟ اننى لم أشأ أن أقول لك شيئا حتى لا أسبب لك المتاعب فى عملك ولكن ما دمت أنت قد أثرت هذا الموضوع فسأحدثك بصراحة .

فـــريد : اسكتى أنا أعرف ما تقصدين وأنا لست زوجا متهاونا الى هذا الحد . ولكن هناك الطريق السليم والطريق الخطأ والمرأة اللبقة هى التى تستطيع أن يكون لهـــا أصدقاء من الرجال لا أن يكون لها عشاق ..

ليـــلى : « فى ضيق وسخرية » افرض أننى لست من هـــذا النوع من النساء فهل شريفة كذلك ؟

فـــريد : ربما ..

نيـــلى : وأنا أعرف ماذا تقصـــد من وراء هـــذا . . لقـــد أخبرتنى كريمة عندما تزوجتك ، انك كنت تحب شريفة وأنا لا أريد أن أصدق ذلك .. أما الآن فقد فهمت لماذا تدعونى هذه السيدة الى بيتها كثيرا .. انها تحتقرنى وتكرهنى .



الاستاذ : هذه لحظة حرجة وأنا تعمدت ان أوقف هذا المشهد لأنه سيؤدى مباشرة الى المشهد التالى الذى لا يقل عنه خطورة لقد رزق هذان الزوجان بطفلين واختارا فيلا على شاطىء البحر ليقضيا فيها الاجازة السنوية ولقد استأجراها من أبوى ليلى أما شريفة فقد وصلت ومعها زوجها وسيارتهما وتوقفا ليتناولا طعام العشاء وبعدذلك يواصلان الرحلة الى ايطاليا . وقد تضايق فريد من وصولهما لأنه أصبح ميالا للعزلة أما ليلى فكانت سعيدة لاستقبال شريفة فى هذا المكان الجميل الذى يفوق شـقتها بعشرات المرات انها فيلا ولهـا حديقة كبيرة جميلة وكانت السهرة رائعة . ولكن ليلى تحب اللعب بالنار .. فعندما جلست الى زوجها بعد العشاء جعلت تقول يا عزيزى فريد يحسن بك أن تذهب مع شريفة الى الحديقة لتريها الطبيعة الجميلة هنا .

فـريد : « بحذر » لنذهب نحن الأربعة .

ليـلى : لا يجب أن نفصل كل زوج عن زوجته ...

« ونهضت شريفة باهتمام . واضطر فريد الى أن يتبعها ولكنه نظر الى ليلى بغضب شديد »

فـريد : انتبهى يا شريفة فالظلام قاتم هناك .. اتجهى الى اليسار .

شريفـة : ما هذه الرائحة الجميلة هنا ؟

فـريد : انها أشجار البرتقال والورد الموجود فى الشرفة غير أن الورود هنا مع الأسف أصبحت كالأعشاب البرية تحتاج الى تهذيب .. اتبعى هذا الممشى .

شريفـة : وأنت لم تعد بريا أنت الآخر ؟ اننى لم أعد أراك فى أى مكان ؟

فـريد : مشغول جدا .

شريفـة : جميل أن أراك وحدك هذه الليلة .. اننى مولعـة بزوجتك ولكن هذا لا يغـير من الأمر شيئا فنحن صديقان جدا قبل أن تعرفها .

فـريد : طبعا يا شريفة وكيف أنسى ذلك ؟

شريفـة : هل تذكر عندما رقصنا لأول مرة ورافقتنى الى البيت وكان أبى وأمى نائمين وجلست معى فى الصالون ودون أن تنطق بكلمة واحدة أدرت الفونوغراف وأخذتنى بين ذراعيك فى حنان وبدأنا نرقص ببطء ؟

فـريد : ألم أقبلك مرة أو مرتين تلك الليلة ؟

شريفـة : مرة أو مرتين لقد ظللنا متعانقين ساعة أو أكثر لقـد كان ذلك رائعا وكنت تبدو بطلا لأحلامى .

فـريد : « يتنهد » لا بد أننى خيبت أملك ..

شريفـة : طبعا ليس أثناء الحرب لقد كنت رائعا فأنا أحفظ

كل شىء جاء عنك فى البرقيات أحفظها جميعا ولكن عندما خطبت ليلى بصراحة لقد انزعجت ولم لا ؟ لقد أعجبت بك كثيرا . وكنت أعتقد أنك فى حاجة الى امرأة ممتازة لتكون زوجة لك ، ولما رأيت أنك اخترت هذه الفتاة وهى جميلة الى حد ما وكانت زميلتى فى المدرسة وأعرفها جيدا : مدعية ميالة للمظاهر أدهشنى ذلك وأحزننى . ولم أكن وحدى وانما كثيرون من أصدقائك .

فـريد : انتبهى يا شريفة عليك الآن أن تعبرى هذا الخندق الصغير وها هى ذى الشرفة الكبيرة انها تشرف على البحر تماما كما ترين وتلك الواجهة المضيئة هناك هى كازينو جديد . لا تنحنى هكذا الى الأمام .

« ولكى يمنعها من الانحناء اضطر الى ان يلف ذراعيه حول خصرها وبسرعة استدارت اليه وقبلته فى فمه .. »

شريفـة : لم استطع مقاومة الرغبة فى تقبيلك يا فريد .. فأنا اشتهى ذلك .. فهل صدمك هذا ؟ اننى على يقين أنك كنت زوجا مخلصا كل هذه السنوات العشر . .

فـريد : مخلصا بصورة مدهشة .. بلا هفوة واحدة

شريفـة : انك تدهشنى .. وعلى الرغم من هذا فأنت سعيد ؟

فـريد : جدا ...

شريفـة : حسنا يا عزيزى ولكن الذى يدهشنى فعلا أن هذه

السعادة لم تعد واضحة أبدا فقد كنت أراقبك ونحن على المائدة كنت تبدو قلقا مضطربا نافد الصبر وأنت تتحدث الى زوجتك . أنا متأكدة أن زوجتك لا تفهمك ولا تقدر عملك ولا تدرك أهميتك .. فقد حاول زوجي مرة أو مرتين أن يحدثها فى ذلك ولكن زوجتك قاطعته .. انها يجب أن تفخر بك ..

فـريد : انها ليست مسألة فخر . ولكن كل ما هناك أن زوجتى لا تهتم بهذا النوع من العمل الذى أقوم به ، انها أقرب الى أن تكون فنانة بطبيعتها .. انها أكثر اهتماما ببيتها وملابسها ، اننا لسنا من الأغنياء ومع ذلك فهى التى تصمم ملابسها بنفسها ثم هى التى تهتم بأطفالها وهكذا تملأ حياتها بالعمل والنشاط .

شريفـة : « مندهشة » هل هى التى تصمم ملابسها ؟ ليلى لها مثل هذا الذوق ؟ الشىء الغريب أنك تصدق زوجتك ، انك انسان متواضع جدا يافريد ، اننى أعرف ليلى منذ الطفولة وكان ذوقها أردأ بكثير من ذوقها اليوم ، انك انت الذى مكنتها من أن تظهر أنيقة بهذا الشكل .. أعترف لك أن فستانها أنيق جدا ولكن كريستان ديور هو صاحب هذه التصميمات .

فـريد : أنت مخطئة جدا يا شريفة .. انها هى التى صنعت هذا الفستان ونقلته عن موديل لديور وهذا الموديل

قد استعارته من كريمة .. اسأليها أنت .

شريفة : لا تتوقع منى أبدا أن أصدق هذه القصة . هذا الفستان مقصوص على موديل مضبوط جدا وليس به خطأ واحد ولا يمكن أن تكون زوجتك قد صنعت هذا الفستان أبدا وليست هذه مهمتها ولا بد أن تكون قصة الفستان صادقة ما دمت أنت الذى ترويها .

فريد : طبعا أنا صادق .. لأنه لا يمكن لزوجتى أن تفصل هذا الفستان عن ديور. مرة أخرى أقول لك ان زوجتى ليس لديها المال الذى يمكنها من شراء موديلات لفساتينها .

شريفة : اذن أعترف لك أنها معجزة .. أنا شخصيا معجبة بليلى ولا أفهم أبدا لماذا لا يحبها الناس ؟

فريد : انهم يكرهونها ..

شريفة : ألا تعرف ذلك ؟

فريد : ولكن لماذا ؟

شريفة : ها .. انه نفس الشيء لأنها تافهة وأنانية ومضللة لكل النساء .. وتعاكس الرجال وقليلة الذوق وأنا شخصيا قد دافعت عنها دائما وحتى عندما كنا فى المدرسة كنت أقول لزميلاتى « ولكن ليلى أكثر لطفا مما يبدو عليها » والشيء الذى كان من الصعب على أن أغفره لها هو أن يكون لها زوج مثلك وأنك أنت ..

فريد : وأنا ماذا ؟

شريفـة : لاشيء ... هيا بنا نعد ؟ هيا بنا ..

فـريد : لحظة واحدة يا شريفة ليس من حقك أن تبدئى هذه التلميحات دون أن تكمليها قولى لى ماذا يقول الناس عنها .. يقولون انها ليست مخلصة لى ؟

شريفـة : هل أنت جاد فى أن تعرف كلام الناس يا فريد ..؟

فـريد : نعم بكل تأكيد

شريفـة : أنا أعتقد أنك تعرف كل هذه القصص ولا تهتم بها ثم لا يمكن أن يكون هناك دخان بلا نار وقد تمنيت أن يكون هذا الدخان فعلا بلا نار .. مالك ؟

فـريد : اننى أشعر ببرودة . هذا كل ما هناك ..

شريفـة : أعطنى يدك ولـكن يديك متجمدتان .. هل تريد أن تقاسمنى هذا البالطو ؟ .. هنا ... عند ما أفكر فى أننا لم نفلح فى أن نعيش معا قريبين هكذا .. ألم تأسف على ذلك يا فريد .

فـريد : ماذا تتوقعين أن يكون جوابى ؟ وأنت يا شريفة هل أنت سعيدة ؟

شريفـة : جدا ، مثلك تماما يا فريد . ولكن فى أعماقى يوجد شعور باليأس وقد صعدنا جبلا وعرا أليس كذلك ؟؟ أنا أريد أن أكون صريحة معك . عند ما خطبت ليلى هذه تمنيت أن أموت . لقد اجتزت هذه الصدمة ، وأصبح كل شيء أسهل وأهون . فعندى زوج كامل ، وأبناء أحبهم ، وأنا أتسلى بهم .. وأنت ؟؟

فـريد : لقد اسأت فهمى يا شريفـة .. ليس لدى أى مبرر للاحساس بالتعاسة فأنا ما زلت أشعر بالحنان نحو ليلى والحنان كلمة ربما بدت ضعيفة ولكن ما أزال أحبها جدا .. لقد كانت السنتان الأوليان من الزواج عبادة متبادلة ولكن الآن بعد عشر سنوات ..

شريفـة : بعد عشر سنوات بدأ كل منكما يتحمل الآخر بشىء من العاطفة . ربما ولكن هذه القصة تحتاج الى السحر والخيال وأنا أعرف أنك رجل عاطفى وخيالى يا فريد .

فـريد : أنت تعرفين الكثير جدا

شريفـة : لا تنس أننى أحببتك يوما .. وهذا هو السبب فى أنى أفهمك جيدا .. أعطنى ذراعك فهذا المنحدر عميق هنا الرائحة الجميلة مرة أخرى ولا بد أننا قريبان من الشرفة دعنا نقف لحظة يا فريد لقد تعبت من الصعود.

فـريد : لقد تحدثت كثيرا ونحن نصعد هذا المنحدر ..

شريفـة : ضع يدك على قلبى انه يدق بعنف .. هنا هنا خـذ منديلى وامسح به فمك ان النساء يلحظن أثر الأحمر بسرعة ولو لم تكن زوجا مخلصا لكنت قد تنبأت بذلك منذ وقت طويل .. ونظف كتفك اليسرى فربما كانت عليها بعض البودرة .

هكذا يا ليلى يا حبيبتى ان لديك حديقة جميلة وزوجا أجمل ..

ليـلى : لقد أعجبت بالاثنين معا .. وأنا لذلك مسرورة جدا .

الفصل التاسع

مشاكل كبيرة

الأستاذ : سيداتى وسادتى أذكر عبارة مشهورة تقول « ان أى حب يستمر هادئا يصبح سخيفا » وربما كانت هذه ملحوظة مليئة بالتشاؤم ولكن مما لا شك فيه أن أى حب مهما كان ناجحا فانه لا يمكن أن يكون دائما كاملا من جميع الوجوه ان أجمل فصول الصيف لا تخلو من العواصف ولكن هذه العواصف أقل خطورة بين المتزوجين منها بين العشاق .. فاليمين التى أقسمها الزوجان تمنع الاثنين معا من ارتكاب أية حماقة . فالأطفال الذين يحتاجون الى العناية والحنان . يجعلون الأم مشغولة دائما وهذا يقوى روابط الزوجية وهناك اخطار تهدد الزواج كما تهدد أى نوع من الحب ففترات الانفصال بين الزوجين التى لا بد منها فى كل زواج طويل مغرية فعلا . ولكن فى هذه المناسبات يحسن بنا الا نستسلم لاغراء الانفصال وانما يجب أن تتغلب عليها وبذلك ندعم الزواج نفسه كيف ؟ أولا وقبل كل شىء عن طريق ، تجديد روابط العاطفة بين الزوج والزوجة . فالعاطفة فى الزواج لا يمكن أن تؤخذ هكذا من غير تفكير . انها ليست سهلة أبدا ولكن

مع ذلك يستطيع الانسان أن يختط طريقا وسطا بين الاثارة والهدوء ، والزوجة الذكية هي التي تستطيع ذلك على نحو ما وعلى الرغم من هذا فان أكثر الأزواج حبا وارتباطا معرضون لخطر الظروف .

ومعظم الرجال يجدون من الصعب عليهم أن يقاوموا اغراء المرأة المجربة واذا سنحت الفرصة والمواقف فان أحدهما لا يملك الا الاستسلام للآخر . والانسان يأمل طبعا أن يظل كل زوج مخلصا للآخر . واذا استسلما للاغراء فهناك الخطأ والصواب فى الاستجابة الى مثل هذا الأمر فمثلا لنتصور أن فريد قد وقع تحت هذا الاغراء أثناء رحلة الى الخارج . انه زوج مخلص فى صميمه وسيشعر بالذنب اذا استجاب لاغراء ما . وهذا موقف خطير لأن ضميره سيجعله شـديد الحساسية واليقظة لدرجة أن ليلى التى لم تشك فيه اطلاقا تصبح شديدة الوسوسة واليكم الآن المشهد كما لا يجب أن يكون .

« ديكور .. وصالون فى الليل . ومقعدان وفريد ينظر الى أعلى فجأة ويحملق فى المدفأة ويبدو أن الشعر الابيض اخذ يزداد عند جانبى رأسه .. وليلى قد اصبحت ممتلئة الجسم ولكن هـذا الامتلاء يناسبها ... »

فـريد : ما أجملك هذه الليلة يا ليلى ..

ليـلى : ماذا جرى لك يا فريد ؟ اننى لم أتغير .. اللهم الا ان شعرى يبدو مخيفا .. ان هذا الحلاق الجديد قـد

أفسد شعرى .

« صمت ... الخشب يتكسر فى المدفأة ... صوت عربات فى الشارع .. »

فـريد : هل أنت سعيدة يا ليلى ؟

ليـلى : سعيدة ؟ سؤال غريب يا فريد .. طبعا أنا سعيدة ..

فـريد : ففى بعض الأحيان أشعر أنك لم تنالى الحياة التى كنت تريدينها وأشعر كأننى قد تجاهلت ذوقك وفرضت ذوقى عليك وأنك كنت تفضلين الزواج من رجل فنان أو رجل يشبه الفنان .. فعندما عرفتك كنت مولعة بالموسيقى .. أما الآن فنحن لا نكاد نستمع اليها . . واللوم على أنا ــ عندى فكرة .. هل نذهب مساء غد الى الحفلة الموسيقية التى حدثتنى عنها ؟

ليـلى : غدا ؟ ان التذاكر كلها بيعت ..

فـريد : ولكن نستطيع شراء تذاكر عن طريق أحد المكاتب أو الفنادق الكبرى ..

ليـلى : فكرة ولكن هذا متعب لنا .. فأنت تقول انك مرهق بعد رحلتك الى السويد .. ثم انه لا يوجد أحد أتركه يرعى الأطفال .. وعلى أى حال فأنا أستطيع أن أستمع الى هذه الحفلة الموسيقية فى الراديو .

فـريد : كما تريدين .. لقد كنت حسن النية ولكن يظهر أن النيـة ليست كل شىء .. فأنا أمس لم أتمكن من النوم ..

ليـــلى : ولماذا لم تتمكن من النوم ؟ هل أنت مريض ؟

فـــريد : لا أبدا .. وانما كنت أفكر .. كنت أقول لنفسى ؟ « مسكينة يا ليلى لقد تمنت سنوات طويلة أن ترى روما وكنت أرفض دائما لأسـباب ترجع الى أنانيتى وفكرت فى أن أهيىء لها رحلة هذا الصيف .. « ومن السهل جدا أن تتركى الأطفال عند ماما لمدة شهر ..

ليـــلى : « تتنهد » انها ليست سهلة هكذا .. ان أمك قـد كبرت وعبث الأطفال يتعبها .. ثم انك قلت ان هـذه الرحلة ستكلفنا كثيرا أنت تعرف أننا لا نستطيع أن ننفق على هذه الرحلة .

فـــريد : سأطلعك على سر لدى بعض المال الاحتياطى .. انها مكافأة على ماقمت به من أعمال بشأن الأجهزةالكهربية الحديثة .

ليـــلى : لم أفهم ... لقد أتفقنا على أن نسافر الى الجبال من من أجل صحتك .. وحجزنا الغرف وكل شىء رتبناه .. لماذا نغير هذا كله .. ؟

فـــريد : أنا أردت أن أرفه عنك يا حبيبتى ..

ليـــلى : ان هذه هى أو لمرة منذ سنوات طويلة أسمعك تقول فيها : يا حبيبتى .. انها تجعلنى أشعر كما لو كنت صغيرة ..

فـريد : انك لست فى حاجة الى أن تصغرى .. أبدا .. وأنا جاد اننى أرهقتك فى السنوات الثلاث الماضية . . ان مرضى أرهقك ومن حقك الآن أن تستريحى منى بعض الوقت .

ليـلى : وبعد ذلك ــ أنا أعرف ماذا سيحدث .. ستظل تشكو من الألم طول الشتاء . .

فـريد : أعدك لن أشكو يا عزيزتى .. ما دمت أنت سـعيدة فعلا ..

ليـلى : ولماذا « فعلا » سعيدة ؟ ما الذى حدث لك هـذا المساء ؟ هل انت مجنون ؟ أو مريض ؟ أو ماذا جرى؟

« يدق جرس الباب »

ليـلى : سأفتح أوه .. انها سلة ورد رائعة .. ولكن ليس هذا عيد ميلادى .. ولا عيد زواجنا .. من الذى أرسلها ؟ هل تظن انه المدير لأنه تعشى معنا ؟ لا .. هل لأننا تعشينا معه منذ تلك المرة .. غريب .. لا يوجد معهـا بطاقة تدل على اسم مرسلها .

فـريد : ألا تستطيعين أن تخمنى ؟

ليـلى : لا .. هل تستطيع أنت ؟

فـريد : لست فى حاجة الى التخمين فأنا أعرف ..

ليـلى : طبعا أنت لا تعنى أنك أنت الذى أرسلتها ؟ أنت

الذى بعثت بهذه الزهور الغالية فى قلب الشتاء وبغير سبب ؟ وتبكى « أوه يا فريد لقد كنت خائنا » ..

الأستاذ : سيداتى وسادتى أنتم تفهمون لماذا كان الزوج مخطئا فأى تعليق يبدو لا قيمــة له ــ والآن أريكم كيف يتصرف زوجان عاقلان دون أن تكون هناك مأساة وانما عن طريق الصراحة والفهم السليم نفس المنظر ونفس المكان والزوجان يقرآن .. ولكن هذه المرة نجد أن ليلى هى التى ترفع رأسها وتبدأ بالحركة الأولى .

* * *

ليــلى : فريد أنا قابلت شريفة التى كانت فى السويد هى وزوجها بعد سفرك ببضعة أيام .. وما قالته شريفة شىء جميل فعلا . ..

فــريد : بشأن من ؟

ليــلى : بشأنك أنت .. أنت تعرف لسانها اذا أرادت أن تعاكس انسانا فانها لا تسكت أبدا . لقد أخبرتنى عن مغامراتك مع فتاة من أمريكا الجنوبية وكيف أنك مضيت نهاية الأسبوع على شاطىء البحر وكيف أن أخبار هذه المغامرات قد ملأت السفارات كلها . لقد تظاهرت شريفة بأننى أعرف هذه القصة منــذ وقت طويل . وقالت انك أنت الذى بدأت بغزو قلب هذه الفتاة واننى يجب أن أكون فخورة بك .

فـريد : شريفة كلبة انها تغار منك دائما .. أرجو ألا تصدقى
من كلامهاحرفا واحدا .

ليـلى : لا تحاول أن تنكر .. شريفة كلبة ولكنها تقول الحق
.. قد اكد لى القصة كثير من الناس وسلوكك يدل على
ذلك .. فأنت كنت غريبا منذ عودتك وكلامك النـاعم
عن السويد .. ونفاد صبرك واضح فى الفطور عندما
تسأل عن ساعى البريد .. انك ساذج كتلامذة المدارس
لا .. لا تحاول أن تنكر هذا .. بالعكس صارحنى بهذه
القصة وأنا أعدك بألا أهتم بها بعد ذلك .

فـريد : لست متأكدا من هذا ...

ليـلى : صدقنى أنا أعرف نفسى ثم ما هى الغيرة انها نوع من
حب الاستطلاع الضار .. ولكن اذا عاملتنى كصديق
طيب وتحدثت الى بصراحة فلن أقلق بعد ذلك .

فـريد : حسنا لنبدأ هذه القصة صحيحة .. فقد كانت عندى
مهمة سرية هناك .. ولم أستطع أن أقاوم اغراء هذه
الفتاة يا ليلى لقد كانت جميلة جدا وألقت بنفسها على
ولا يستطيع انسان مهما كان أن يقاومها .

ليـلى : أوه يا فريد هذا شيء كريه هل انتهت هذه العلاقة ؟
الا تكتب لها أبدا ؟

فـريد : انها تكتب كثيرا .. كتبت لهـا ثلاث أو أربع مرات
وأقسم لك ان الأمر قد انتهى

ليـلى : ما اسمها ؟

فــريد : ما قيمة هذا ؟ أنت لا تعرفينها ..

ليــلى : أريد أن أعرف كل شيء حتى اسمها .. أريد ذلك ..

فــريد : حسنا اسمها : دلورس.. دلورس جارثيا.. وأصدقاؤها هناك يسمونها : لولا ..

ليــلى : دلورس ... اسم جميل جدا .. هل كنت تناديها لولا ..

فــريد : نعم .. لا .. لا أتذكر ..

ليــلى : ماذا ؟ لا تتذكر . ؟

فــريد : صدقينى . لا أتذكر ... انها لم تعد تهمنى .. انها لم تكن سوى حادث وقع لى أثناء رحلة ولا أهمية لها.. ولكن هذا لم يقلل من حبى لك ولم أتوقف عن حبى لك ..

ليــلى : لاتقل ذلك .. ولكن ما شأنها هى ؟ ألم تحبها .. ؟

فــريد : ربما .. فى تلك اللحظة ولكن لا كما أحبك فقد كانت مجرد حلم .. أما الواقع فهو أنت .

* * *

ليــلى : ربما لم تتصور أننى أردت أن أكون حلما من أحلامك .. لقد تمنيت أن أكون كل شيء لك كما أنت لى ..

فــريد : ان كل شيء يتوقف عليك .. وعلى الرغم من هــذه

المظاهر فكلانا مخطىء فى هذه المسألة نعم أنا أعرف أنى وحدى الملوم ولكن ليس هذا صحيحا تماما .. فخطؤنا معا .. هو أننا ننظر الى حبنا على أنه قضية مسلمة .. لكن كونى مخلصة مع نفسك .. فنحن فى العامين أو الثلاثة الماضية هل أنت حاولت ارضائى على النحو الذى توقعته منك ؟ لا أنت تعرفين ذلك جيـدا . لقـد تعودت أن أستمتع بذوقك ووجهك الجميل .. كنت أنظر الى وجهك بين جمهور من النساء وأفكر سعيدا « زوجتى أجملهن جميعا » ولكنك انشغلت عن هذا كله .. اليوم يبدو شعرك منكوشا .. ويؤسفنى أن أقول لك ذلك .. ولكنها الحقيقة .

ليـلى : اننى أحاول أن أقتصد فى النفقات ان الذهاب الى الحلاق يكلف كثيرا .. ولهذا قصرت شعرى .. وهو لا يعجبنى أنا أيضا .. وأنا أعرف أنه لا يناسبنى وأنه لا يتمشى مع الموضة ولكنى كنت أقصه من أجلك .. وأنت قلت ان ميزانيتنا ضعيفة جدا .. والأطفال فى حاجة الى ملابس جديدة لا تنس وهم يكبرون يوما بعد يوم .

فـريد : لا شك يا حبيبتى .. ولكن المرأة التى تحب .. تصنع المعجزات ..

ليـلى : أى معجزات ؟ طبعا أنت لا تريد الزوجة أن تكون

غير مخلصة لزوجها الذى تقدسه لكى تحصل على الوسائل التى تمكنها من ادخال السرور عليه ..

فــريد : طبعا لا .. وانما أريدها أن تفهم أن السعادة الزوجية شىء يحتاج الى تغذية والى تجديد مدى الحياة .. والا تآكلت .. فهــل تحاول تجديد هــذه السعادة يا ليلى فأنا على استعداد اذا كنت أنت أيضا ..

ليــلى : و .... دلورس ؟؟

فــريد : قرفت من سيرة دلورس ..

ليــلى : يا فريد لا تتحدث هكذا عن امرأة أنت أحببتها .. واذا لم أكن قد سامحتك لاعتقدت أنه حب حقيقى

فــريد : كانت لحظــة جنون يجب أن ننساها والا فلا داعى لنسيانها ولنجعل منها درسا لنا نحن الاثنين ..

ليــلى : أنها كقصة الحمامتين « عندما تحتل الواحدة منهما العش فان الأخرى تطير بعيدة عنه » . والآن كلما أسمعها سأشعر بالدموع فى عينى ..

فــريد : ان الدموع لا تفيد .. انها تفسد وجهك فقط .. ولكن يجب أن نواجه الحقائق والذى يجب أن نفعله هو أن تتفادى أية رحلات طويلة الى الخارج أو على الأقل يجب أن نتفادى خروج كل منا وحده ، حبيبتى أنا أعرف أنك خلال العامين الماضيين كنت تتمنين السفر الى

البندقية . ما رأيك فى السفر اليها فى الاجازة نحن الاثنين كما يفعل المحبون ؟ ما رأيك .. ؟

ليلى : لا أستطيع أن أجيب الآن . . ان هذه الصدمة مخيفة بالنسبة لى .. ان رأسى يدور ولا حاجة بك الى الاجابة .. أنا أعرف ماذا تريدين أن تقولى .. سنكون سعيدين يا ليلى أسعد مما كنا فى أى وقت مضى .. ان العاصفة تغسل الهواء دائما .. وهذا ما حدث لنا « مترددة لكن بتأثر » : نعم ربما كان هذا صحيحا ..

* * *

الأستاذ : وهكذا اقترب الزوجان وتوثقت روابط الزوجية ولكن شبح دلورس ظل يرتاد أحاديثها ثم سرعان ما اختفى وقد سبقها فريد الى نسيان دلورس حتى أننا بعد سنتين أو ثلاث فى استطاعتنا أن نتخيل مثل هذا المشهد .

* * *

ليلى : الا تذكر يا فريد تلك المرأة التى عبرت الممر مساء أمس أثناء الاستراحة .. تلك التى كانت مع شريفة وزوجها ؟

فريد : لا .. لماذا ؟

ليلى : ألم تعرفها ؟

فـــريد : لا .. هل كان يجب أن أعرفها ؟

ليـــلى : طبعا . ثم انك أحببتها جدا . يوما ما .

فـــريد : وهل يوجد أحد غيرك فى هذا العالم أحبه حبا شديدا

ليـــلى : ولكنك شديد النسيان ... هل نسيت دلورس ؟

فـــريد : أى دلورس ؟

ليـــلى : دى دلورس ؟ الا تذكر الآنسة جارثيا .. دلورس .. لولا ..لوليتا .. ؟

فـــريد : طبعا .. لا لم أستطع أن أعرفها لقد كانت أفكارى أبعد من ذلك بأميال .. ولكن كيف عرفتها أنت ؟ أنك لم تريهـــا ..

ليـــلى : لقد رأيتها . قابلتها فى بيت شريفة منذ بضعة شهور .. بعد عودتك من السويد .. ان شريفـــة كلبة أحيانا يلذ لها أن تجمعنا نحن الاثنين وتقيم هذا المشهد المؤلم أمام بعض أصدقائنا ..

فـــريد : ياالقسوتها ..

ليـــلى : انها تتقن القسوة .. ولكنى احتفظت بهدوئى جدا .. ولم أشأ أن أقول شيئا أمام الضيوف الآخرين على الرغم من أننى أعلم أن شريفة كانت تريد فضيحتنا .. وعندما عادت دلورس الى الفندق حرصت على أن أذهب معها الى هناك .. وفى الطريق أخبرتها عن رأيى

فى النساء اللائى يعملن على هدم أزواج الآخريات .

فريد : ولكنك لم تخبرينى بشىء من هذا ؟

ليلى : لم يكن عندى أية رغبة فى أن أذكرك بهذا المخلوق الجميل لأنها جميلة جدا ..

فريد : هل غضبت ؟

ليلى : أبدا لقد كتبت لى عددا لا نهاية له من الخطابات وأصبحنا صديقتين لدرجة أننى دعوتها للغداء غدا لأننى أعلم أنها ستكون هنا فى القاهرة .

فريد : أبعديها عنى أرجوك لا أريد أن أراها مرة أخرى اذا جاءت فسأترك البيت ..

ليلى : سيكون معنى هذا أنك تتجنبها ولكن من أى شىء تخاف ؟

فريد : لا شىء يخيفنى ولكن لماذا تدعين امرأة قد ضايقتك مرة ؟

ليلى : بعد رحلة متعبة من الممتع أن يجد الانسان نفسه على أرض جافة مرة أخرى ، ان منظر لوليتا يذكرنى بالقلق الذى أحسست به مرة ويجعلنى أقدر هذا الأمن والاستقرار أكثر من ذى قبل ثم أننى أحب صديقتك جدا .. أعتقد أنك اخترت فتاة جميلة .. وعلى ذلك فأنت تفضلنى عليها .. وهذا يسرنى ..

فــريد : أنت تعرفين أن هذه الحكاية ستضايقنى انها ستتعب معدتى لا تجعلينى أمر بهذه التجربة أرجو الا تطلبى منى أن أرى دلورس .

ليــلى : بل سأدعوها يا فريد ...

* * *

الاستاذ : وهكذا ينتصر الزواج .

« الجرس يدق .

الفصل العاشر

إغراء

الأستاذ : سيداتى سادتى فى الدرس الأخير وصفت لكم الزوج الوفى . واليوم نصف لكم الزوجة عندما ينقصهـا التمييز واللباقة فاذا كانت الزوجة فاتنة فان الرجل « المغرى » سيدور حولها وربما بدت هذه الكلمة غريبة بالنسبة لكم وأعتقد ان كلمة « الذئب » هى الكلمة المناسبة والمستعملة بينكم وفى القرن الثامن عشر كان الذئب هو « كازانوفا » القـاسى المضلل الذى غرر بالفتيات البريئات . ونساء القرن العشرين أكثر استنارةوأقدر على الاحتراس ولذلك فجرائم الاغراء أو غزو قلوبهن أصبحت نادرة ، ولكن ما يزال هناك ذئاب متمرنون ينتقلون من ضحية مسكينة الى أخرى. والصفات التى يمتاز بها هؤلاء الناس يجب دراستها لنعرف سبب خطورة هذه الصفات والنساء تغريهن مظاهر القوة .. والسبب فى ذلك هو أن النساء ظللن قرونا عديدة يتطلعن الى الرجال لحمايتهن .. وهـذه القوة التى يعجبن بها من الممكن أن تتخذ أشـكالا متعددة فنجوم كرة القدم من الممكن أن يغزوا قلوب

المعجبات بكرة القدم .. والعازف الماهر يعزو قلوب المعجبات بالموسيقى . وكل انسان يتفوق فى مهنته له نصيب من المعجبات وكذلك رجال السياسة والمال والفن والأدب والتمثيل والتنس فكلهم من الممكن أن يكونوا ذئابا . ولكن أى هؤلاء أكثر نجاحا ؟ هذا يتوقف على النسـاء وعلى العصر الذى يعشن فيـه ففى أيام الحرب يكون القائد المنتصر وقائد الفدائيين أو رئيس الحكومة نفسه هؤلاء هم الذين تتطلع اليهم النساء .. أما فى المجتمع المستقر فنجد أن المرأة تتطلع الى الحسب والنسب والمال أولا وقبل كل شىء . وفى الدوائر المثقفة نلاحظ أن المشتغلين بالفن والموسيقى تترامى النساء عند أقدامهم ولذلك كان الشعراء من أمثال بيرون وشاتو بريان وميسيه والموسيقيون مثل ليست وفاجنر ــ كانوا ذئابا طول حياتهم وقد كان الأديب الفرنسى اناتول فرانس فى الثانية والستين عندما انتحرت فتاة صغيرة أمريكية من أجله والشاعر الايطـالى جابرييل دانتسيو الذى كان قبيح الوجه ظل ذئبا حتى مماته .

وصفات الذئب هذه .. تتوقف على النساء اللاتى يغزوهن فالمرأة التى فيها رجولة أو فيها أمومة لا تحب القوة . وانما يغريها الرجل الضعيف البنية فالأديبة

الفرنسية جورج صاند مثلا أحبت الرجال الأصغر منها سنا المرضى الذين احتاجوا الى حمايتها . أما نساء اليوم فلديهم استعداد للحياة أكثر من جداتهن لأنهن يجنين اليوم ثمار الاستقلال الاقتصادى والتدريب الرياضى الصحيح فلم تعد المرأة فى حاجة الى حماية جسمية أو مالية ولذلك فالنساء لا يعلقن أهمية كبرى على القوة الغاشمة فى الرجل الذى يخترنه فانهن لا يجدن فى أفلام اليوم أن الرجل المغرى هو طرزان ذو العضلات القوية والصدر المليء بالشعر ولكن يعجبهن رجلا من طراز جيرار أو جيمس دين الذى يبدو ضعيفا . انه هو النوع الذى يجذب النساء سنة ١٩٥٩ وما بعدها وفى الأفلام الأمريكية نجد أن الشاب الغريب البوهيمى هو الذى يفوز باعجاب الجماهير أكثر من رجل المال أو رجل الصناعة الناجح فى عمله وسبب ذلك أن المرأة الأمريكية الحديثة قد ملت رجال الأعمال وأنها تفضل الرجل الذى يسليها على الرجل الذى يحميها انها لم تعد فى حاجة الى حماية وانما فى حاجة الى تسلية ومهما كان العصر أو كانت المرأة فان الرجل الذئب يحتاج الى جرأة فالمرأة يغريها أكثر ـ ذلك الرجل الذى يغازل والذى يقنعها بالعطف والاصرار . وقليل من الرجال يرون أن غزو قلوب النساء عمل رئيسى فى حياتهم وعلى أى

حال فكثير من النســاء يحتجن الى معجب ليرضى غرورهن بينما الأخـريات لا يقاومن الاستغراق فى الأحلام والخيال والرجل الذئب يعرف بالضبط كيف يملأ حياتهن الفارغة . فهو يكتسب أسـلوبا غراميا يجعله شخصية لا يمكن مقاومتها وفى الحياة أكثر من أى شىء آخر نجد أن المرأة هى التى تحقق النصر والنجاح و فى النهاية والانتصار الأول هو الذى له قيمة. ويكفى أن يقــال عن رجل أنه دون جوان لتسقط ضحاياه قبل أن يغزوها فالضحايا يفكرون هكذا : « اذا كان الأخريات مغامرات معه فلماذا لا تكون لى أنا أيضا ؟ » ودون جوان يختار المرأة الأولى وبعــد ذلك يصبح الرجل الذى تختاره النساء فشهرة الشاعر بيرون كرجل يغرى النساء كانت معروفــة ولكن فى احدى المناسبات عندما أظهر احتراما لزوجة أحــد أصدقائه ولم يحاول أن يتقدم لها خطوة لم تغفر له هذه السيدة خطأه هذا أبدا .

والآن سأريكم كيف أن ليلى وقعت بين يدى أحد هؤلاء الذئاب واسمه حسام عندما بدأ حبها لفريد يهبط الى الأرض أو هكذا كانت ترى ذلك . وهذا المشهد يقع فى مسرح دار الأوبرا وقد جلس حســام يتطلع الى المتفرجين بدقة واهتمام . وفى شعره الأسود تظهر خطوط بيضاء وعلى الرغم من هذه التجعدات

حول فمه وعينيه يبدو وجهه نحاسيا وفيه صـحة . ولكن حسام لا يزال يفتن النساء وله غزوات عديدة . والمرأة التى يقع عليها اختيار هذا الرجل تحس بشىء من الاحترام لنفسها واذا كانت واحدة من هؤلاء النسوة قد فاتها أن تستمتع بلذة الحياة فسترى أن هذا الرجل هو وحده الذى سيجعلها تشعر بلذات غير معروفة . ولكن هذا الذئب حسام يعتز بكرامته . وفى هذه اللحظة يتركز انتباهه فى أحد البناوير . ثم يتجه بصبر نافد الى زميله كمال وهو أحد مصممى السيارات ويقول له :

حسـام : « باهتمام » قل لى من هذه السيدة ؟

كمال : أيهن ؟

حسـام : واحدة فقط هى التى تهمنى .. هذه الشقراء الحزينة التى تجلس هناك .. التى ترتدى فستانا أزرق .

كمـال : انها زوجة فريد الموظف فى وزارة الأشغال .. ومهندس من الدرجة الأولى لقد نصحنى أحد أصـدقائى أن أتعرف به ..

حسـام : « ينظر الى فريد باهتمام » ليس قبيح الشكل .. فملامحه لا بأس بها .. قد يكون عاشقا رديئا ..

كمال : أنت تحيرنى .. ولماذا لا يكون مهندسا ممتازا وعاشقا ممتازا أيضا ..

حسام : يسرني أنه ليس كذلك .. اسمع يا كمال يجب أن تقدمني الى هذه السيدة فى الاستراحة

كمال : وهو كذلك .. ولكنك تضيع وقتك .. انها سيدة محترمة .. أرستقراطية جدا .. أرستقراطية ولها مبادىء كثيرة ..

حسام : ولكن ما قيمة هذا كله ؟ الأرستقراطية مرض ومبادئها لم تعد لها قيمة صدقني . لا توجد امرأة لا يمكن الوصول اليها اذا فكرت فى هذا .. وانما يوجد هناك دائما نساء لا يغازلهن أحد ..

كمال : سخف .. ان غرورك فظيع ولكنك على الرغم من هذا تعجبني .. وسأقدمك لها على أى حال ..

حسام : وعليك أن تقول لها من أنا ..

كمال : نعم .. لا تقلق سأعدد لها ضحاياك الألف ضحية وضحية سأروى لها كيف أنك جننت بالفتيات وكيف أن الأميرة الايطالية قد انتحرت بسببك .. وكل ألقابك طبعا .

« واضيئت الانوار على المسرح .. ثم الدقات التقليدية الثلاث .. وصمت »

« غرفة استقبال فى بيت ليلى ليست جميلة ولكن فى هذا اليوم اضيفت اليها بعض الزهور وباقة من الورد الاحمر على منضدة

الشاى المزركشة وتوجد زهريتان فيهما زهر الاوركيد وباقة من الزهر البرى على النافذة وسلة من الورد فى ركن آخر وكانت كريمة تجلس الى جوار ليلى على احدى الارائك وتتلفت حولها فى دهشة .

كريمـــة : لا أستطيع أن أصـــدق هـــذا يا ليلى .. ان رجـــلا لا تعرفينه قد أرسل لك هذه الزهور .

ليـــلى : بكبرياء ولكن بحيرة « انه رجل قابلته فى المسرح فى احدى الليالى .. لقد رأيته لمدة عشر دقائق فى الاستراحة ولكنه ظل يحملق فى وجهى طوال المسرحية .. ولقد أحسست بعينيه طوال الوقت .

كريمـــة : هذا اذن حســـام الرهيب

ليـــلى : نعم هو .. كمال الذى يحترم زوجى قدمنى له .. ولكن هل هو رهيب فعلا ..

كريمـــة : لا تتظاهرى بأنك ساذجة فأنت تعلمين كل شىء عنه مثلى تماما . . أنت تعرفين أن لديه نساء لا عدد لهن . . فهو يعرف عددا من الممثلات ونساء المجتمع وأجنبيات كثيرات شهيرات . . ألا تذكرين يا عزيزتى الأميرة الايطالية التى انتحرت بسببه .. وهو الآن مجنون بك .. أنت محظوظة يا عزيزتى ..

ليــلى : ولكن فى استطاعتى أن أتجاهله .. فليس فى استطاعتك أن تتصورى حيــاتى فى الأسبوع الماضى طول اليوم يدق الجرس ويكون القادم بائع الزهور ومعه باقات جديدة وأمس أرسل لى زجاجة من العطر . انه من النوع الذى أفضله انها فضيحة حقيقية ولا أدرى ماذا يظن زوجى .

كريمــة : ولكن ماذا يفهم فريد من هذا كله .. ؟

ليــلى : انه ثائر جدا .. ويطلب منى أن أرد الى حسام كل الزهور .. ولكن كيف أســتطيع ذلك ؟ لقــد قبلت الباقات الأولى .. وبعد ذلك من الصعب أن يكون الانسان غاضبا .. والأسوأ من هذا كله أن هذا الرجل يتصل بى تليفونيا عشر مرات فى اليوم .. انه يعرف الساعات التى يعمل فيها فريد .. آه لو سمعت ما يقوله لى فى التليفون ..

كريمــة : أى نوع من الكلام ؟

ليــلى : لا أجرؤ على قوله .. يقول لى انه لم ير امرأة فى جمالى وكمالى ان وجهى لا يفارقه ليلا أو نهارا وأنه الآن لم يعد يحتمل رؤية امرأة أخرى .. ثم انه يريد

أن يرانى مرة أخرى .. واذا رآنى وحده فاننى أثيره وأعذبه .. وعبارات أخرى مثيرة جميلة .. ولا أستطيع ان أرددها « وتتنهد » .. ولكنها كلمات رائعة . . ان رجلا لم يحدثنى فى حياتى هكذا ..

كريمة : هل تعتقدين أنه يعنى ما يقول..

« وتشير ليلى الى الزهور كأنها هى الدليل القاطع على أنه يعنى ما يقول وفى هذه اللحظة يدق الباب .. »

ليلى : سترين الآن .. انه هو أيضا .. ان الخادمة فقدت عقلها ..

« وبعد لحظة تدخل الخادمة شبه مترددة وشبه ساخرة أيضا »

الخادمة : باقة أخرى لك يا سيدتى ..

ليلى : تفتح الصندوق أوه .. انظرى يا كريمة انظرى ..

« وتفتح الصندوق الأحمر .. وعليه بطاقة باسم أحد محلات المجوهرات المعروفة . وبه بروش جميل من الياقوت والزمرد على هيئة زهرة لها أوراق من الياقوت والزمرد وغصن من البلاتين »

كريمة : « مندهشة » ولكن ما أروعها اننى لم أر شيئا كهذا ولا أجمل من هذا ..

ليلى : « وقد تأثرت جدا » أليست جميلة ؟ انها تماما كما تمنيت « وفى حزن » شىء لم أكن أتصوره أنه سيكون لى فى يوم من الأيام .

كريمـة : ماذا تقصدين ؟ ولكن البروش فى يدك الآن .. فماذا يحزنك يا عزيزتى ؟

ليـلى : صحيح .. ولكن يجب أن أردها اليه .. الا ترين أنه هذه المرة قد بعث بهدية يصعب رفضها .. ثم اذا قبلتها فكيف أرفض مقابلته ..

كريمـة : ولكن لمـاذا تردينها ؟ وأى خطأ فى أن تقابليه فى بيتك .. وتكون خادمتك معك .. ووجهى الدعوة الى بعض أصدقائك من الرجال .. وحينئذ لن يعترض زوجك على تصرفك ..

ليـلى : لا مانع ولكن لا تنسى أن أصـدقاء فريد كلهم من العواجيز أما هذا فقد انقض علينا كالنسر . ثم انى لا أثق بنفسى .. فهو عندما يتحدث الى أبدو كأننى حيوان مسكين نام تنويما مغناطيسيا .. فاليوم وهو يحدثنى فى التليفون ..

كريمـة : ولمـاذا لا تقفلين فى وجهه التليفون ؟

ليـلى : هذا أسوأ فانه يحدثنى تليفونيا بلا توقف .. وفى النهاية يجب أن أرد عليه خوفا من أن تشك الخدامة .. انها لا تستطيع أن تستنتج شيئا مما يحدث . . وهذا لا يدهشنى ..

كريمـة : وفريد لن يقوم برحلة أخرى قريبا ؟ ففى يوم الأحد الماضى تحدث عن اتفاق سرى يقوم بعقده ..

ليـلى : سيسافر فى الأسبوع القادم لمدة خمسة أيام ومعـه رئيسـه .

كريمـة : هذه هى الفرصة لدعوة حسام ..

ليـلى : لا .. لكن ليس فى غياب فريد ..

كريمـة : يا عزيزتى أنا لا أفهمك طبعا أنت لا تريدين أن يكون هنا .. وأنا جادة فيما أقوله ولو كنت مكانك فسأعرف شعورى بالضبط وأستمع الى صوت قلبى .. ان هذا الرجل مأخوذ بك.. «وتلتقط الصندوق الأحمر وتتطلع الى البروش وتنظر باهتمام شديد » يا الهى انه رائع ان هذه الزهور جميلة كأنها زهور طبيعية .. هـل تعيدين اليه هذا البروش حقا ؟

ليـلى : طبعـا .. ولكن ننتظر حتى الغد .. فنحن سنتعشى الليلة خارج البيت .. وأريد أن أضعها على صدرى لكى أفاجىء بها شريفة تخيلى وجه شريفة وهى تتفحص هذا البروش .

كريمـة : ولكن ليس هـذا من الحكمة فماذا عسى فريد أن يقول ؟

ليـلى : فريد ؟ يا عزيزتى لن يلاحظ شيئا انه لا يلاحظ حتى

مجوهراتى .. انه لا يعرف الفرق بين الماس الحقيقى والماس المزيف .

كريمـة : ربما ولكن اذا لاحظت شريفة انها ستجن اذا رأتها وستثير شكوك فريد فى خبث ..

ليـلى : حسنا سأقول لزوجى انه بروش زائف وليس طبيعيا وأن شريفة هذه خبيثة ..

كريمـة : هل يصدق ذلك ؟

« وبعد ذلك بأيام جلست ليلى تنتظر فى البيت زيارة حسام مضطربة وعصبية الى حد ما وكما اقترحت كريمة دعت أيضا بعض الأصدقاء فى غياب زوجها ولكنها تخاف أن تتنبه الخادمة وخاصة أن حسام له أسلوب غريب عنيف .. ثم ماذا يكون رأيه فى هذا الصالون الصغير وأثاثه الرخيص وهو الذى اعتاد على الأثاث الفاخر . وقضت ليلى معظم النهار فى صالون الحلاقة حيث صبغت أظافرها وزينت وجهها ومرآتها تؤكد لها أنها لم تكن فى يوم من الأيام أجمل من اليوم. ثم انها ذهبت الى أحد محلات الأزياء واشترت لنفسها فستانا .. ولكن هذا الفستان لن يعيش طويلا لأن القماش الذى صنع منه من نوع ردىء وهو مع ذلك أنيق جدا ثم ماذا تقدم له ؟ شايا ؟ كوكتيل ؟ عصير

فواكه .. ؟ انها تخشى أن تخطىء فى اختيار أى من هذه الأصناف ثم هناك مشكلة أخرى ماذا تفعل مع هذا الذئب اذا كان عنيفا فى مطالبه .. هل تصده ؟ ولكن حب الاستطلاع والملل وسحر هذا الرجل سيجعلها تقبل أن تكون لهذا الرجل الذى لا تحبه .. وفجأة خطرت لها فكرة وهى أن تشعل النار فى المدفأة وبذلك يشيع الدفء فى الصالون .. ودقت الجرس وظللت تتحدث الى نفسها وتقول « باعتزاز » أن فريد يثق بى لدرجة أننى أستطيع أن أجعله يصدق كل ما أقوله » .

ليـــلى : أعتقد أن الجو بارد .. وهذه الشقة رطبة .. أشعلى النار من فضلك .

الخادمة : ولكن يا سيدتى الا تذكرين أننا أشعلنا المدفأة فملأت الشقة دخانا حتى كدنا نختنق ..

ليـــلى : أعرف ذلك ولكن زوجى قال ان السبب هو وجود الضباب أو اتجاه الريح .. وقد نسيت أيهما كان السبب الحقيقى .. ولا أدرى لمـــاذا يجب أن يتصاعد الدخان اليوم .. لديك بعض الأخشـــاب فى الغرفة المجاورة ولنحاول على أى حال ..

« وبدأت الخادمة تحاول والدخان يتصاعد ويملأ الغرفة وتسيل دموع السيدة والخادمة وفى هذه اللحظة دق جرس الباب » .

ليـــلى : يا الهى انه هو .. كيف أدعوه الى بيتى وهذه السحب من الدخان بيننا ؟

الخادمة : ادخلى أنت فى غرفة الطعام .. وسأقدم أنا المشروبات والدخان لن يبلغك هناك ..

لبـــلى : « فى يأس » يا الهى أية مصيبة كبرى ؟ هذه الغرفة المخيفة .. فليس أمامنا غيرها ..

« والجرس يدق مرة أخرى بصوت مرتفع وبلا صبر .. وليلى تصرخ افتحى الباب بسرعة .. » وتذهب الى غرفة الطعام وتخفى سلة من الفاكهة كانت موضوعة على الدولاب .. ويفتح البـــاب وتتلقى الخامة فى يدها جنيها كبقشيش .. ويتقدم حسام بملابسه الرمادية الانيقة .. ويدخل حسام مبتسما واثقا من نفسه ولكن منظر المـائدة الخالية والمقاعد العارية والنافذة المطلة على حوش قذر يجعل ابتسامته تختفى ... ويبدو الفزع عليه فليس هذا هو المكان الذى يستطيع ان يحقق فيه انتصارا غراميا » .

حســـام : « ساخرا » أى مكان جميل هذا .. كان فى وسعك يا سيدتى العزيزة أن تقابلينى فى مكان أجمل وأروع من هذا .. فى مكان أكثر دفئا .. « ثم يقبل يدها »

ليـــلى : « بتلعثم » أنا أعرف . متأســـفة .. أردنا أن نشعل المدفأة .. لولا أن المدخنة لم نستخدمها منذ وقت طويل .. والصالون مملوء بالدخان .. أنا آسفة جدا ..

حســـام : « يجلس الى جوارها باحتراس على مقعد لا يقوى على احتماله » نار من الخشب انها فكرة رائعة ليس

فى الدنيا أروع من انعكاس النار على جسد عار .. وهذا يغرينى « ويضع ذراعه حول كتفها » ويحاول أن يجذبها اليه فتقاومه ..

ليــلى : « بقلق » يجب أن تحترس فالخادمة ستعود بعـد لحظة .. ماذا تريد أن تشرب ، شاى ؟ نبيذ ؟

حســام : شاى لا أشربه قط .. أحب النبيذ .. اذا كان معتقا ولكن ليس الآن ..

ليــلى : بسذاجة تامة « اذن متى ؟ هل تحب السندوتشات أو بعض الحلوى ؟ عندى هذا وذاك .. »

حســام : « بضيق » سيدتى العزيزة لا أحب المرأة التى تسخر منى مهما كانت جميلة .. وفى هذه اللحظة كان يمكن ان أحضر حفلات كوكتيل متعددة . ولست جائعا وأنا لم أحضر هنا لأتناول بعض السندوتشات فى هذا الجو الكريه ولست ذلك الرجل الذى يسره أن يتحدث الى المرأة التى يحبها بحنان واحترام ويكلمها عن أحدث الكتب التى ظهرت . لست ذلك الرجل كما تعرفين جيدا .. لقد جئت الى هنا ، لأننى مجنون بك .. منذ أن قابلتك ..

« ثم يقترب منها فتنسحب هى فى فزع ناحية المطبخ وفى هـذه اللحظة تدخل الخادمة وتصطدم به فيصرخ عند رؤيته لها ... »

حسـام : فى غضب من الذى ناداك ؟

الخادمة : « خائفة » ولكن يا سيدى .. لقد أمرتنى سيدتى ..

ليـلى : « فى هدوء واصرار » حسنا . ضعى الصينية هناك ..

حسـام : جاتوه وشيكولاته ؟ ماذا بعد ذلك انها تعود بى الى أيام المدرسـة ..

ليـلى : « تعاكسه متحكمة فى الموقف » هذا ما ظننته .

« ولكن حضور الخادمة جعل الذئب يستقر فى مكانه .. انه رجل سريع الحسم كانه نابليون يعرف أنه فى الحب كما فى الحرب يجب أن يكون الانسان قريبا من المعركة لينجح .. انه لا يستطيع أن يقوم باى هجوم فى غرفة لا يوجد بها كنبه ثم قريبة من المطبخ .. ففـير خطته وهز كتفيه بلطف عندما خرجت الخادمة » .

حسـام : أيتها المسـكينة « وينظر اليها بحيرة » نعم أيتها المسـكينة أنت شابة وجميلة جدا .. وستضيعين عمرك كله فى هذا المكان الحزين « وبدرت منها حركة احتجاج » نعم مكان حزين كما ترين ولديك ذوق جميل .. دعك من هذه الظروف الكريهة .. وليس على الانسـان الا أن ينظر الى ملابسك ليتأكد من ذوقك فذلك الفستان الأزرق الذى ارتديته فى تلك الليلة التى رأيتك فيها لأول مرة .. كان رائعا .. ذوق جميل .. فأنا أفهم فى الفساتين لأنى ألاحظها باهتمام ، واعتقد أن زوجك لا يدرى بها .. وأنا أعتقد أنه هو الذى اختار هذا الأثاث المخيف هل أنا على صواب فيما أقول؟

ليـــلى : انها عائلته .. ان فريد لا يهتم بالأثاث ولا بالفساتين .

حسـام : « ساخرا » ربما ولكنه هو الذى جعلك تعيشين وسط هذا الأثاث الرهيب .. انتى أكاد أسـمعه يقـول لا يا عزيزتى أ نالأثاث الجديد غال جدا .. وتكفينا هذه المقاعد الخشبية بفستانك لقـد تكسر كل مكان فيه .. اسمعى يا ليلى يجب أن تذهبى معى الى بيتى ستجدين هناك ما يليق بجمالك ستجدين كنبة سوداء وأبسطة من الفراء ومقاعد ناعمة كذراعك .. « وتسمح له أن يلمس ذراعها » وسترين الزينات التى صممتها أنا .. وستجدين لوحات كبار الرسامين حية قوية كحبى لك .. وهناك سنجلس وحدنا .. عدينى بأنك ستحضرين ..

ليـــلى : تكلم بصوت منخفض .. من فضلك ..

حسـام : « بصـوت هامس حالم » حسـنا ولكن قولى انك ستذهبين الى هذا البيت .. أن زوجك مسافر .. متى سيعود ؟

ليـــلى : يوم الجمعة ولكن ..

حسـام : اذن سأنتظرك يوم الخميس .. سأنتظرك السـاعة الخامسة .. اتفقنا فى .. فى الساعة الخامسة بالضبط

سأكون عند الباب أيتها المسكينة الحبيبة .. ألا تقولين شيـــئا ؟

« ينهض ويضم شفتيه وكأنه يقبلها ويتجه الى الباب مشيرا اليها الا تتحرك ..

ويوم الخميس الساعة الرابعة فى غرفة نوم ليلى .. انتهت من ارتداء ملابسها وتتطلع الى نفسها فى المرآة .. وفستان من الكريب البيج البسيط جدا وحقيبة وحذاء من جلد التمساح البنى وكذلك القبعة والجوانتى .. كل ذلك على حساب ميزانية هذا الشهر هل تضع المجوهرات التى أهداها لها أم لا ؟ تحاول أن تضعها على صدر الفستان ثم تعيدها الى الصنـــدوق مرة اخرى .. ولكنها تلاحظ انها أجمل فى بساطتها المألوفة ولا داعى لهذه المجوهرات .. »

وبدأت ليلى تتحدث الى نفسها بصوت مرتفع :

هل أذهب أم لا ؟ أنا أعرف أننى لا أحبه انه يعطى لنفسه أهمية أكثر من اللازم انه فى بعض الأحيان يظهر أسوأ مافى نفسه ويثير أشد النزوات عندى ويجعلنى أشعر بشىء لم أشعر به من قبل .. ولكن هل لدى أدنى رغبة فى أن أعيش معه .. أبدا يا الهى كما أنه لا يريد ذلك هو أيضا .. فأنا بالنسبة له لست الا واحدة بين كثيرات سأبقى معه شهرا وربما اثنين أو سنة لا أكثر « وتتطلع الى نفسها فى المرآة » ولكن مما لا شك فيه أننى أعجبه وأغريه ومن المؤكد أننى أشعر كأننى أكثر جمالا .. منذ بدأ يتقرب الى ولا أدرى السبب هل هى العاطفة هل هو الدلال .. أم أنه حنينى الى الأناقة والـــكمال الذى لا يتوقعـــه

زوجي .. أيها المسكين زوجي . وفى هذه اللحظة فى أحد فنادق الاسكندرية سيفكر هو سعيدا فى أنه سيعود الى غدا .. لأنه يحبنى بصورة جافة خشنة .. ربما لم يكن حبه كافيا ولكنه لا يستطيع أن يعيش بدونى .. واذا كان له أن يختار بين أى شيء فى الدنيا وبينى سيختارنى . ولكن حسام يختار التى تعجبه أيا من كانت هذه . ولكن حسام يستطيع أن يعطينى هـذا الشيء المجهول الذى تمنيته منذ كنت فتاة صغيرة .. لقد سمعت أن بيته قطعة فنية ولكن هل يحبنى ؟ لست على يقين من ذلك ، ولكن غروره المخيف يفسد كل شيء ولو فرض أن كل شيء على ما يرام .. فان ساعة من السعادة تساوى كل هذه الحياة . ولكن ربما أدت الى نهاية كل شيء مع فريد لأن حسام سيفسد هذا كله .. انه فى حالة هـدنة مع كل عشيقاته . . « وتوقفت أمام المرأة وخلعت قبعتها بلا تفكير » واذا لم أذهب !! اذا طلبت من الخادمة أن تحدثه تليفونيا وتقول له اننى مريضة ؟ سيثور ويغضب .. ولكن هل يهمنى هذا كثيرا ؟ « وتضع قبعتها على رأسها مرة أخـرى » ثم أفرض أننى بعد هذا كله ندمت على ما فعلت وحينئذ سأفقد كل الاثارة التى ملأ بها حياتى

ثم ماذا ،عساى أن أقول لكريمة ؟ .. ثم ماذا أقول لفريد ..

« وتخلع قبعتها وفى هذه اللحظة تسمع صوت الباب الخارجى . انه فريد وحده هو الذى يقفل الباب بعنف هكذا . وتقف ليلى وتستمع الى مشية فريد وصوت حقيبته وقد ألقى بها على المكتب ثم صوت فريد مرحا وهو يقول هل زوجتى هنا ؟

الخادمة : نعم يا سيدي .. كانت فى سبيلها الى أن تخرج أنها تتزين فى غرفتها ..

فـريد : «يدخل غرفة النوم» تتزين لماذا ؟ لاستقبال زوجها ؟

ليـلى : « بفرح » نعم يا عزيزى .. ولم أكن سعيدة فى يوم أكثر من هذا اليوم .. لم أكن أتوقعك اليوم وانما غـدا .. ؟

فـريد : أعرف وهذا ما توقعته أنا .. ولكن رئيسى قرر فجأة أن يستقل القطار السريع ورافقته بسرعة ولم أتمكن من أن أخبرك بذلك . ما أجملك يا ليلى هل أنت ذاهبة الى مكان ما ؟

ليـلى : كنت أفكر .. فقد اتصل بى حسام منذ لحظات

فـريد : مرة أخرى لقد ضقت بهذا الرجل ..

ليـلى : لديه حفلة كوكتيل ليعرض علينا اللوحات العالمية التى عنـده .

فـريد : قصة قديمة انه يعرف أنى مسافر طبعـا لم يكن فى نيتك أن تذهبى اليه وحدك ؟

ليـلى : كنت سأطلب من الخادمة أن تتصل به تليفونيا وتعتذر نيابة عنى ولكن مادمت قد عدت فلنذهب معا . وليس لديك شىء تعمله الليلة أم انك متعب جدا بعد هذه الرحـلة ؟

فـريد : « بضيق » لست متعبا ولكنك لن تستدرجينى الى حيث يوجد هذا الحسام ؟

ليـلى : ولم لا يا عزيزى ؟ سيكون سعيدا عند رؤيتك ..

فـريد : أشك فى ذلك ..

ليـلى : واذا لم يسره وجودك فسيكون الموقف مسليا ..

فـريد : « مستسلما » هل تعنين ذلك ؟ حسنا أعطينى خمس دقائق لأغير ملابسى ونذهب معا ..

« وينطلق الى الحمام ويقفل الباب وتقف ليلى وحدها تتطلع الى نفسـها فى المرآة وترى ، الانسامبل البيج وتتنهد وتبتسم وتتخيل حسام فى ملابسه السوداء يفتح الباب وهى تقول له :

« لقد أحضرت زوجى أعتقد أن هذا سيكون مسليا . »

الفصل الحادي عشر

كارثة

الاستاذ : سيداتى وسادتى فى الدروس السابقة أطلعتكم على الأخطاء التى يتوقعها الانسان فى حياته الزوجية وليس فى الزواج الذى هو مجرد اتفاق بين طرفين وكما نعلم حاولت ليلى أن تقاوم ذلك الانسان المغرى ذلك الذئب وهو أول اغراء تعرضت له وكان ذلك عجيبا ولكن هل ستبقى مخلصة لزوجها فى المستقبل ؟ ذلك مالا نعرفه فما هو الحل الآخر فاذا اضطرت الى الانحراف فسيؤدى ذلك الى الطلاق أو الى تلك المهادنات الحرجة التى أريد أن أحذركم منها الآن .

فلنتصور معا فريد الذى يتقاضى أجرا قليلا وقد يبخل عليها جدا ولا يعطيها ما تحتاج اليه لتظهر بمظهر حسن هى وأولادها أو يدفع تكاليف المعيشة ولكن ليلى نفسها لا تزال جميلة وجذابة جدا وتحن الى الملابس الجميلة وقد حدث أن تقدم منها سفير على المعاش فى متوسط العمر يقترح انقاذها من هذه الورطة التى وقعت فيها فرضيت فى أول الأمر ثم شجعته

واستدرجته حتى أصبح مفتونا بها وقد تأثرت باعجابه بها وشخصيته وتواضعه وأخيرا استسلمت له وكان فريد بعيدا عنهاطوال اليوم وكانت أمامها فرصة نادرة لمقابلة أى انسان وقد أيقنت أنه من السهل أن تضيف أموالا الى مصروفها دون أن يلاحظ الزوج ذلك . الا اذا كان فريد يتظاهر بأنه لا يلاحظ شيئا غير أن ليلى تعتقد اعتقادا راسخا أن زوجهـا يثق بها ثقة عمياء . وربما وجدت الآن الحل الموفق .

الآن ستلاحظون فى المشاهد التالية لمـاذا كانت هى مخطئة . انه احساس زائف بالأمن والطمأنينة وذلك لأن حادثة غير متوقعة قد تصـبح مهلكة لكل من يشترك فى مثل هذا الحل الوسط ، فالمشهد الأول فى غرفة نومها ما تزال الستـائر مسدلة ، فريد يقفز من السرير ويضىء المصـباح وينزع البيجاما ويبدأ فى تمريناته الرياضية يحنى الجذع ويفرد الساقين ويتنفس شهيق .. زفير ..

* * *

ليـلى : « تحت الغطاء وفى صوت هامس » لمـاذا قمت عاريا هكذا ؟ ستصاب بالبرد ولمـاذا تضىء المصباح ؟ لقد أيقظتنى ..

فـريد : انها تمرينات الصباح يا عزيزتى انها السابعة صباحا ..

ليـلى : السابعة حالا « تتثاءب » انني أشعر كأنني دخلت الفراش الآن ..

فـريد : «يسحب الستائر» لقد ظللت تقرئين الى ساعة متأخرة.. انظرى ضوء النهار والسيدة العجوز جارتك تعد القهوة ..

« ليلى تتثائب وتطلب منه أن يفتح الراديو .. فريد يفتح الراديو وينظر اليها فى حنان لقد كان يظن دائما أن زوجته جميلة ولما رآها نصف يقظى ولها عينان ناعستان ناعمتان وشعرها منكوش أحس كأنها نفذت الى قلبه بهذه البراءة والطفولة » ..

ليـلى : لا تنظر الى هكذا .. انني أبدو فظيعة فى الصباح .. لا تحملق فى وجهى .. افتح الراديو والا فاتتنا نشرة الأخبـار

« يفتح الراديو فى منتصف نشرة الاخبار »

المذيع : ولذلك قررت الحكومة سحب الأوراق المالية من فئة المائة جنيه ، وبذلك تصبح عملة غير قابلة للاستبدال وعلى حاملى هذه الأوراق أن يسلموها للبنك فورا وابتداء من يوم الاثنين ستصرف لحاملى هذه الأوراق عملات أخرى . وستعلن الحكومة فيما بعد عن آخر موعد لتسليم هذه الأوراق وتقدر الدولة عدد هذه الأوراق المتداولة بـ ٢٣ مليون ورقة .

« وتنهض ليلى وتدفع بسرعة خصلات الشعر عن وجهها .. »

ليـــلى : ما هذا ؟ انهم مجانين .

فـــريد : « يزرر قميصه » أبدا يا عزيزتى لقد كنت أتوقع ذلك منذ وقت طويل . ان هـــذا اليوم سيكشف هؤلاء الذين يكنزون هذه الأوراق ويتجرون فى الســوق السوداء والذين يهربونها الى خارج البلاد ..

ليـــلى : وأنت تعرف ذلك ؟ فلماذا لم تذكر شيئا من هذا كله؟

فـــريد : لأن هذا لن يؤثر فينا واحسرتاه ان أحدا لن يتهمنا بكنز هذه الأوراق ان كل ما أملكه هو ثلاث ورقات من هذه الفئة .. وكنت احتفظ بها لهدية عيد ميلادك .. أما أنت فقد أخبرتنى أن نفقات البيت تفدت كلها فلماذا هذا القلق ؟

ليـــلى : معك حق .. ان الأمر لا يعنينا ولكن ماذا ستفعل بهذه الأوراق ؟

فـــريد : « شاهرا ذراعيه » هذا سهل استطيع أن أقدمها للبنك ولكن ربما وضعتها بين الأوراق التى ستبعث بهـــا الشركة التى أعمل بها الى البنك وبذلك أوفر على نفسى هذا المجهود فأنا على علاقة طيبة بالصراف ، ان لديه الألوف من هذه الفئة وفى وسعه أن يدفع لى ثمن هذه الأوراق غير أننى لا أفهم لماذا تشغلين نفسك بهذه المسأله مع أنها لا تهمنا يا عزيزتى ..

ليــلى : على رأيك .. أنا لا أفهم حتى هذه المسألة .. فهذا شأنك أنت .. فأنت السيد على أى حال تعال وقبلنى .. لا .. قبلة أحسن . هل تعود الى الغداء ؟

فــريد : نعم : طبعــا ..

« وترتمى على المخدة وتطبق عينيها وهى تتظاهر بذلك فلا تكاد تسمع صوت الباب الخارجى وفريد يدفعه وراءه حتى تقفز من الفراش وتفتح درج الدولاب وتخرج منه رزمة من الأوراق المالية قد أخفتها بين طيات ملابسها ثم تعيد اخفاءها بين الملابس .. وتعود الى السرير وتسحب التليفون وتدير القرص ويدق الجرس مدة طويلة وأخيرا .. »

ليــلى : أنت بدرية ؟ أنا أعرف أننــا فى ساعــة مبــكرة .. لا تؤاخذينى ولــكنى أريد منــك خدمة هل سمعت ما أعلنه الراديو عن الأوراق المالية من فئة المائة جنيه .. لا طبعا كنت نائمة اذن اسمعى ابتداء من اليوم قررت الحكومة سحب الأوراق المالية من هذه الفئة واذا كان لدى أى انسان عدد من هذه الأوراق وجب عليه أن يردها للبنك .. على أن يقبض ما يعادلها من العملات الأخرى فيما بعد .. ماذا تقولين ؟

« صمت » انها لا تهمك .. ؟ أنت تتحدثين كزوجى

تماما .. ولكنها تهمنى وتؤثر فى جدا فلدى عدد من هـــذه الأوراق لـــدى ٣٠ ورقة .. وأنت ترين اننى لا استطيع أن أخبر زوجى ولا أن أطلب منه وصل استلام لأن .. حسنا .. ولماذا أخفى عنك هذه الحقيقة .. انه السفير الذى أعطانى هذه الأموال .. « صمت » هل كنت مخطئة فى قبول هذه الأموال .. هل تعتقدين أننى كنت أريد ذلك .. ؟ طبعا أحب زوجى .. طبعـــا أحبه جدا ولكن لكى أدخل السرور على نفسه يجب أن ألبس ملابس جميلة .. وأن أذهب الى حلاق ممتاز .. وفريد ليست لديه أية فكرة عن تكاليف هـــذه المظاهر .. ما هذا ؟ يا عزيزتى أنا لا أريد منك أية محاضرة عن مساعدتى .. أنت تستطيعين أكثر من أى انسان آخر فأنت مطلقة ولست فى حاجة الى توقيع الزوج .. وكل ما تحتاجين اليه هو أن تغيرى هذه الأوراق كما لو كانت ملكا لك . أى تعب ؟ ولمـــاذا يجب أن نلجأ الى الخداع ؟ وليس عليك الا أن تقولى انك احتفظت بها فى بيتك منذ الحرب .. انه طبيعى جدا .. لا أستطيع أن أطلب ذلك من السفير نفسه .. لمـــاذا ؟ لأنه سافر الى أمريكا لمدة شهر ويجب تغييرها قبل الأسبوع القادم .. اسمعى .. يا سلام . يا بدرية انت سافلة .. لم أكن أتصور ذلك أبدا عندما تزوجت

انت لقد عملت من أجلك الكثير .. حسنا ولكن ربما لم يكن الأمر كهذا .. ولكننى تسترت عليك.. وعاونتك حتى تمكنت من الطلاق فى النهـاية .. ان ذاكرتك ضعيفة يا عزيزتى .. لا تستطعين آن تغامرى بهذا .. ؟ حسنا ولكن أرجوك أن تحتفظى بالسر لقد وثقت فيك وفيك وحدك واذا انتقلت هذه القصة فى البيوت وانتقلت الى زوجى فلا أدرى ماذا عساه أن يحدث اننى أحذرك .. هذا كل ما هناك .. وسأراك على أى حال فى حفلة كريمة .. ماذا عسانى أن أفعل ؟ لا تقلقى فسأجد مخرجا .. وكل ما أطلبه منك .. هو أن تلتزمى الهدوء

« وفى نفس اليوم ظهرا ليلى ترتدى فستانا ابيض مقلما بالاسود تنتظر عودة فريد ويفتح الباب تهتز الزهريات والصـور على الحائط .. »

فـريد : « ينحنى ليقبلها » كانت فكرة رائعة بلا شك أن تسحب الحكومة كل هذه الأوراق لقد كان لهـا أثر فظيع صـباح اليوم . وكان عدد الذين عذبتهم ضمائرهم هائلا ..

ليـلى : لقد أحسست ذلك بنفسى صباح اليوم ..

فـريد : ماذا تعنين ؟

ليـلى : سأخبرك على شرط الا تسألنى عن الذى يخصه هذا الموضـوع

فـــريد : ولكن لمـــاذا هذه الألغاز .. ؟

ليـــلى : لأنني وعدت بشرفى ألا أذكر اسم الشخص . ولا حتى لك ــ وأنا لا أخلف وعدى كما تعلم .

فـــريد : ولكن قولى لى على الأقل يا حبيبتى من يكون هذا الشخص فربما أعرفه ..

ليـــلى : بالتأكيد تعرفه .. أنه أحد أصدقائنا .. وهذا يكفى لا تسأل عن اسمها .. لنقل ان اسمها : (س) على أى حال . . ففى الصباح عنـــدما نزلت أشـــترى بعض الحاجات قابلتها فى الممر وقالت لى : « فرصـــة سعيدة .. لقد كنت فى طريقى اليك » وبالطبع فوجئت بكلامها فالانسان لا يزور أحدا فى الساعة الحادية عشرة صباحا .. ولم أطلب اليها أن تتفضل عندنا فى البيت فأنا لم أكن قد سويت الفراش بعد .. وقلت لها: « اسمعى يا عزيزتى أنا مضطرة أن أذهب لشراء بعض ما يلزمنى .. تعالى معى نتحدث سويا » وذهبنا معا وبدأت هى تروى قصة لا يصدقها العقل .. انها تعبد زوجها وهذا طبيعى جدا فهى شابة . جميلة وفاتنة .. ولكنه لا يكسب مايكفيها لكى تعيش وأسوأ من ذلك انه لا يقدر لا جمالها ولا شبابها..آه ياعزيزتى..أنا كدت أنطق باسمها .. ولكن لأنه يحرص على أن تكون

زوجته أنيقة .. تصفف شعرها وتصبغ أظافرها كان عليها أن تنفق نصف مصاريف البيت على الحلاق وطلاء الأظافر فاتخذت لها عشيقا لا تحبه فى مقتبل العمـــر .

فـــريد : عشيقا لا تحبه ... ؟

ليـــلى : ان الأمر معقد قليلا انها لا تحبه فعلا .. ولكنها تحس نحوه بعاطفة معينة .. وبشيء من الامتنان والاعجاب لأن هذا الرجل الخير ممتاز مرموق . ومهمـــا كانت مشاعرها الحقيقية فان هذا الرجل الطيب قبل أن يقوم بأجازة أعطاها ٣٠ ورقة من فئة المائة جنيه .

فـــريد : وكلها من فئة المائة جنيه ؟

ليـــلى : ما أشد ذكائك يا عزيزى .: وتستطيع أن تعرف بقية القصة وقالت لى « تصورت المأزق الذى وقعت فيه . فإنا لا أستطيع أن أفقد هذا المبلغ . وأنا مدينة لكل التجار ولكن ماذا يحدث بعد هذه الأنباء المروعة ؟ ماذا عسانى أن أفعل ؟ فقد أعلن الراديو صباح اليوم أن رب العائلة وحده المسموح له بتغيير هذه الأوراق وكدت أسأل .. يا الهى لقد كدت ألفظ لك اسمها ..

فـــريد : وبعد ذلك ؟ وهى طبعا تتوقع منى أن أغير لها هذه الأوراق ؟

ليـــلى : نعم هذا بالطبع ما أردته . ثم انها قالت لى : « زوجك موظف حكومى ومن السهل عليه أن يغير هذه الأوراق .. وأنا على يقين أنه لن يتضايق فهو رجل لطيف عطوف دائما .. » انها احدى المعجبات بك يا عزيزى..

فــريد : « بجفاف » لا يهمنى اعجابها . انما يعنينى امرأة واحدة فقط هى أنت .. أرجو أن تكونى قد طلبت اليها أن تذهب فى داهية فهذا هو ما تستحقه .

ليـــلى : فى بعض الأحيان لا أستطيع أن أقول لها شيئا من ذلك . فقد تأثرت بقصتها لقد كان الصدق واضحا على وجهها . وكانت تخشى أن تجرح شعور زوجها اذا ما سمع بهذه القصة وتأكدت من أن قصتها حقيقية وأنها لم تقع فى هذا المأزق الا لأنها تحب زوجها حبا حقيقيا .

فــريد : « يدق بيده على المنضدة » هل أنت مجنونة ؟ هل تعرفين معنى هذا الكلام الذى تقولينه ؟ هذه المرأة أحبت زوجها لدرجة أنها اضطرت الى خيانته .. ؟ هذا هو الذى تحاولين أن تقوليه منذ ربع ساعة .

ليـــلى : أنت جامد القلب ويبـــدو أنك لم تفهـــم كلامى . . غريب جدا .. لقد كنت أتصور أنك حساس وأن لديك فهما سليما للأمور .. ومنذ أيام كنت أقول لبدرية :

« اننى سعيدة الحظ فأنا زوجة لرجل يفهم طبيعة المرأة » .

فريد : هل بدرية هى المرأة التى تتحدثين عنها ؟

ليلى : لا يا عزيزى هذا مستحيل .. ان بدرية مطلقة ففى استطاعتها أن تفعل ما تشاء .. لا تحاول الآن أن تخمن ولا داعى لأن تمضى فى تخميناتك .. حتى أنا قد دهشت

فريد : ولكن أرجو الا توافقى على أن أساعدها..

ليلى : يا فريد .. أنت فى بعض الأحيان بطىء الفهم عندما استمعنا الى هذا النبأ فى الراديو سألتك : « ان كان هذا سيؤثر فينا ؟ » فكان جوابك « ان الصراف لديه الملايين من مثل هذه العملة .. والقليل الذى نملكه يمكن وضعه بين هذه الأوراق .. » وطبيعى أننى لم أتصور أنك ستعترض على اضافة بعض هذه الأوراق المالية الى ما لدينا .. ما رأيك .. ؟

فريد : وسمحت لها أن تعطيك هذه الأوراق ؟

ليلى : وهذه هى الأوراق المالية .. لقد وضعتها فى حقيبتى منذ صباح اليوم .

« ينهض فريد ثائرا فى غيظ . ثم يروح ويجىء فى الغرفة ويداه وراء ظهره ويلعن الظروف »

ليلى : ماذا جرى ؟ لا تكن سخيفا . تعال أجلس . واشرب قهوتك قبل أن تبرد ..

فريد : لا أريد أن أشرب القهوة . أنا فى شدة الغضب الا تدركين الفضيحة التى سأقع فيها الآن . لقد قلت لهم فى المكتب صباح اليوم انه ليس لدى الا ثلاث ورقات من هذه الفئة فقولى لى كيف أفسر لهم حصولى على مثل هذه الكمية الضخمة من هذه الأوراق فجأة ؟

ليلى : طبعا أنت قادر على مواجهة مثل هذا الموقف .. أنت تجد الأسباب دائمـا .. وأنت بارع فى الخروج من أحرج المواقف .

فريد : ولكن ليست لدى أية رغبة فى انتحال أى عذر .. اننى أكره كل هذا الموقف .. اننى أشعر بالاحتقار الشديد .. ولا أريد أن أضع نفسى فى هذه الورطة ..

ليلى : حسنا يا عزيزى لقد ظننت أنى أستطيع أن أعتمد على طبيعتك الطيبة .. ولكن خاب ظنى . سأذهب وأبحث عن هذه الفتاة المسكينة وأعيد لها أموالها حالا ولا بد أن أعترف لك أنى حين أعود اليها فسيكون ذلك صدمة لها .. انها كادت تنتحر صباح اليوم .. وهذا هو السبب الرئيسى فى أنى وافقت على مساعدتها . ولكن مادمت أنت لا تريد ولا تستطيع ان تعاونها ..

ثم أننى أعرف السبب .. السبب هو أنك لست الرئيس هناك ..

« ويجلس فريد ويهز بقايا القهوة فى الفنجان .. »

فـريد : ليس هذا هو المهم .. فعلى الرغم من أننى لست الرئيس فمن السهل على أن أغير هذه الأوراق اذا أردت .. فأنا على صلة طيبة بالصراف .. وأعلم أنه لن يعلن عن وجود أية أوراق قبل يوم الاثنين .. ولكن ليس من الاخلاق فى شىء أن أشترك فى مثل هذا الأمر ..

ليـلى : « تمسك بيده » لا تجعلنا نحكم على الاخرين بهذه القسوة .. ولأننا سعداء وفى استطاعتنا أن ننفق ولأن لديك دخلا طيبا تتصور أن الآخرين مثلنا .. وكثير من السيدات يثقن بى وأعرف زوجات شابات لهن مشاكل مالية ... واذا كانت هناك زوجة تحب زوجها حقا فكيف تقول له انه عاجز عن أن يوفر لها الحياة التى اعتادتها وخصوصا اذا كان هذا الزوج يتقاضى مرتبا أقل مما يستحق ؟ شكرا لله اننا سعداء ولكن لا يجب علينا أن نلوم الآخرين على تعاستهم .. »

فـريد : « بجفاف » أعطينى الأوراق المالية . هل عددت هذه الأوراق بعناية ؟ لا أريد أن أكون مسئولا عن نقص شىء منها ..

ليـلى : لقد عددتها مرتين .. ولكن عدها أنت بنفسك .. أنت أقدر منى وأسرع ..

فـريد : « باعتزاز » ذلك لأننى تعودت على هذه العمليات .

« وبعد ذلك بأسابيع يعود فريد من مكتبه ويضع بهدوء ٣٠٠٠ جنيه على مكتب ليلى وتتطلع ليلى الى المبلغ بعينين بريئتين » .

فـريد : هذه هى الأوراق ..

ليـلى : ما هذه يا فريد ؟ من أين جاءت كل هذه الأموال ؟

فـريد : ٣٠٠٠ جنيه لصديقتك المجهولة وأرجو أن يرضى هذا فجورها المخجل ان كانت جميلة على أى حال أنا أعرف من تكون ..

ليـلى : لا يستطيع أحد أن يخفى عنك شيئا . . ولكننى لم أخبرك يا عزيزى .. ولماذا تحاول أن تعرف من هى الآن ؟ لقد عاونت انسانا فى محنة حقيقية وأنا أشكرك جدا على ذلك لنترك هذا الموضوع ولننس هـذه المأساة ..

فـريد : لا أستطيع أن أهرب من التفكير فى هـذا الزوج المسكين الذى لا يزال يظن أنه سيد ورب بيت بينما تجرى وراءه كل هذه المهازل .

ليـــلى : ولمـــاذا مسكين؟ انه لا يعرف شيئا .. انه سعيد جدا ..

* * *

« الجرس يدق .. تتقدم طالبة من الاستاذ »

الطالبة : هل تريد أن أقول لك شيئا .. ؟ أن هذا المشهد الأخير لا يعجبنى ففيه شيء يبعث على الضيق والتعاسة ..

الاستاذ : نعم يا آنسة ولكن من الضرورى أن تتحقق من أن فى الحياة مثل هـــذه المشاهد التعيسة وربما تفادبت أنت القيام بمثل هذا الدور يوما فى حياتك الزوجية ..

الطالبة : ربما ولكنك أفسدت شخصية ليلى أمام عينى لقد كنت أتصورها شيئا آخر .

الأستاذ : لا تقلقى .. فى المرة القادمة ستجدين ليلى على الصورة التى تعجبك .

الفصل الثاني عشر

العيد الفضي

الاستاذ : سيداتى وسادتى هذا هو الدرس الأخير فى البرنامج واليوم يوافق العيد الفضى على زواج فريد وليلى فقد تزوجا منذ ٢٥ عاما .

ولكن لماذا اخترنا ذكرى مرور ٢٥ عاما ؟ ربما سبب ذلك أن الرجال يحبون حساب السنين بالمئات . وهم لذلك يهتمون بالاحتفال بالذكرى المئوية للشعراء والفنانين والقادة ولكن لم يحدث أبدا أن احتفل واحد بذكرى مرور مائة عام على زواجه .. ولكنهم بدلا من ذلك يحتفلون بالعيد الذهبى عندما تمضى خمسون عاما .. والعيد الفضى عند ما يمضى ٢٥ عاما . لنتخيل أن هذا اليوم هو عيدكم الفضى وأنكم قددعوتم أصدقاءكم وأقاربكم لحفلة خاصة . وأنتم الآن فى انتظار حضورهم . ماذا تقولون ؟ فى أى شىء تفكرون ؟ هل كان زواجكم موفقا ؟ وبعد ٢٥ عاما هل أنتم سعداء . أشقياء تعساء للغاية ؟

فى استطاعة الانسان أن يتذكر بعض الأعياد

الفضية التى كانت مهزلة والتى كانت ممتعة وفى المشهد التالى سأريكم الاثنين لنبدأ أولا : العيد الفضى بصورة خاطئة ..

* * *

فريد : متى يصل هؤلاء جميعا ؟

ليلى : فى الخامسة .. طلبت اليهم الحضور فى الوقت المحدد .

فريد : أى عبء هل كان من الضرورى أن ندعو كل من يمت لنا بصلة بعيدة لنذكرهم بأننا منذ ٢٥ عاما ارتكبنا خطأ العمر كله . ؟

ليلى : لم يكن فى وسعنا تجنب ذلك .. فكل صدقائنا يحتفلون بالعيد الفضى وأخوك احتفل بهذا العيد فى العام الماضى ..

ولن يخفى على أحد اذا لم نحتفل بهذا العيد ...

فريد : وهل تظنين أن الناس لا تدرى أى زواج فاشل هذا الذى جمعنا ؟ أستطيع أن أتصور بالضبط ماذا سيقوله ضيوفك . كريمة ستسخر كالعادة وتقول « ان مجرد احتفالهما بالعيد الفضى يجعلنى أضحك .. انه أقرب الى أن يسمى بالعيد الصفيحى .. » وسيجىء دور صديقتك العزيزة بدرية .

ــ وستقول : اننى رفضت أن أهتم بربع قرن من

المتاعب والخداع . اننى أتمنى أن تكون ليلى قد دعت كل عشاقها القدامى وأن يكون فريد قد دعا كل عشيقاته القديمات وحينئذ تصبح هذه الحفلة شيئاً لا مثيل له .. «ويسكت»..وعلى فكرة هل دعوت ذلك الموسيقار صديقك ؟

ليلى : طبعا ..

فريد : قليلة الذوق ... ودعوت السفير أيضا ؟

ليلى : طبعا ألم تدعى أنت شريفة ودلورس؟ على أى حال أنا أستطيع أن أقول لك .. اننى أفضل أن أبكى . على أن أقيم هذه الحفلة ... من المحزن أن أتخيل أننى منذ ٢٥ عاما كنت فتاة شابة جميلة مليئة بالأمل فى المستقبل . وأتوقع الزوج الذى يحقق لى سعادة كاملة ولكن انظر اليوم الى وقد تهدمت حياتى كلها .. ولا أمل فى أن أبدأ من جديد .

فريد : انت السبب ...

ليلى : أنت السبب .. الزواج السعيد يعتمد على الرجل وخصوصا فى البداية أنت مجرب أما أنا فقد كنت شابة ساذجة لقد تزوجت دون أدنى حب .. لا لشىء الا انك تصورت أن أبى فى استطاعته ان يعاونك فى عملك حتى فى أيام شهر العسل لم تبد لى أقل حنان .. والوقت الوحيد الذى أحسسنا أننا زوجان وأننا

على ما يرام كان ذلك عندما كنا فى حلوان وكنت أنت مريضا .. ووضعت رأسك تحت الحنفية .

أليس هذا مخجلا ؟ فبعد أن عدنا الى القاهرة وشكوت لك من أنك أهملتنى وتصرفت كما لم يكن لى وجود لم تخجل من أن تقول لى « ان الانسان لا يتزوج ليكون اثنين وانما لكيلا يكون بمفرده » « وباحتقار » وحتى أنت لم تراع تنفيذ هذا .

فـريد : « بمرارة » وأنت بماذا أجبت؟ لقد قلت فورا : « على العكس ان الانسان يتزوج ليكون ثلاثة أو أربعة أو خمسة » تلك كانت كلماتك ...

ليـلى : ماذا تتوقع منى ؟ ما دمت لا أجد الحب فى البيت يجب أن أبحث عنه فى مكان آخر .. وكنت أفضل دائما أن أظل مخلصة لك لو أنك أحببتنى .. لا .. لا تهز كتفيك هذا صحيح وكان فى وسعى أن أظل على حبى لك لو كان لديك بعض الحنان لى وبعض التقدير ولكنك لم تقل لى كلمة عطف واحدة ولم تقدم لى هدية واحدة .

فـريد : « فى غضب » كفى من الذى أثث هذا البيت ؟ من الذى قدم لك الملابس ، والمجوهرات . ؟

ليـلى : الاحساس العادى لأى انسان هو الذى أرغمك على أن تجعل لى بيتا وألا أمشى عارية ولكن هل حدث أن قدمت لى شيئا جميلا . كمفاجأة لمجرد أن تجعلنى

سعيدة .. دون أن أطلب ذلك منك .. ؟ لم يحدث أبدا ..

فــريد : لقد قلت لك أكثر من مرة أننى لا أهتم بالمجوهرات ولا أفكر فيها هذا كل ما هناك .

ليــلى : بل هناك أكثر من هذا فلا شىء يهم الناس العاديين ويسعدهم يعجبك أو يروقك وهذا ما أشكو منــه ككل النساء الأخريات فأنت منطو على نفسك ولا تفكر فى شىء سواك « صمت » ثم ماذا قدمت لى بمناسبة العيد الفضى ؟

فــريد : أنت تعرفين ذلك جيدا . لقد اخترناه معا .. قدمت لك بروشا من الفضة ...

لبــلى : هذا فقط ؟ سيقولون عنها انها هدية تعيسة ..

فــريد : من هم ؟ تقصدين هؤلاء الأقارب الجائعين الذين جاءوا ليلتهموا السندوتشات والبتيفور ويعبوا الشمبانيا ؟ وعلى فكرة لا تجعلى أختك وأولادها يهجمون على البوفيه قبل الضيوف فأنا أعرف أولادها الأربعة وأى نوع من الأطفال هم . انهم يحضرون قبل كل المدعوين بربع ساعــة ويحتلون مركزا استراتيجيا ويتصرفون كقوات الاحتلال .. وعندما يفرغون من الطعام لا يبقى لأى انسان بعد ذلك طعام أو شراب .

ليــلى : يالهم من مساكين انهم لا يجدون ما يريدون فى بيوتهم .. فهذه الحفلات العائلية هامة جدا بالنسبة لهم ..

فــريد : حفلات عائلية أحب الأسلوب الذى تتحدثين به عن العائلة هل هى حقا عائلة متحدة ؟ أنت لا تحبين أمى وأنا لا أحب أمك . وأكثر من هذا ان أبناءنا لم يكلفوا أنفسهم جهدا للحضور اليوم .

ليــلى : أنت ظالم كيف يحضرون ؟ ان ابنتنا مونا موجودة فى دمشق مع زوجها وابننا منير موجود فى الخرطوم .

فــريد : هناك طائرات سريعة وكبيرة ولكن لا .. انهما يعرفان حقيقة مشاعرنا ويريان أن هذا الاحتفال سخيف انهما على حق . ان عائلتنا تتكون من أقارب بعيدى الصلة وخالات جائعات وأعمام مفلسين أما الأصدقاء فقد كلفونا غاليا لكى نعرف قيمتهم .

« يدق الجرس ويفتح الباب الخارجى » .

ليــلى : اسكت لقد جاءوا ... هل أضع البودرة على أنفى ؟

فــريد : لا يا زوجتى العزيزة . ان أنفك ما يزال عليه البودرة واذا لم تكن فمن الذى يهتم بهذا ؟ لا أحد الا صديقك الموسيقار ..

« أصوات الضيوف وهم يدخلون »

ليــلى : « بحرج » عمتى أشكرك على تلبية هذه الدعوة انتى

مسرورة لأنك أحضرت كل أطفالك . ما ألطفهم .. البوفيه هناك..أهلا توتو..أهلا ميمى..أهلا لولو .. لقد كبروا ..

فــريد : كيف حالك يا سيدى الموسيقار .. يسرنى أنك جئت .. ان الحفل لا يصبح جميلا بغيرك . . أهلا بالسـفير يشرفنا حضورك اليوم ..

ليــلى : شريفة .. اهلا ما أجملك ما هذا الذى فى الصندوق ؟ أوه ... ولكن لا داعى لذلك . . لقد أتعبت نفسك .. ان الانسان لا يقدم الهدايا لأناس تقدمت بهم السن مثلنا .. لا مؤاخذة لحظة واحدة .. السفير يبدو كمـا لو كان سيعلن عن نخب فى صحتنا .. نعم سيعلن ذلك « وتصفق بيديها » الهدوء من فضلكم سعادة السفير سيلقى كلمة ..

السفير : « يتوجه الى ليلى وفريد » .. أصدقائى الأعزاء انها فرصة لطيفة حقا لكل الذين عرفوكما منذ تزوجتما انها فرصة سعيدة لكى نشارككما فى الاحتفال بالعيد الفضى لزواجكما السعيد .. وهى سعادة لم تدفعكما الأنانية للاستئثار بها وحدكما وانما اشركتما فيهـا غـيركما بسخاء .. فشكرا .. شكرا باسمنا جميعـا ولنهنئكما ونقول « بعد ٢٥ عاما أخرى سنشترك فى الاحتفال بالعيد الذهبى . ؟ »

الاستاذ : والآن سأريكم الاحتفال الحقيقى بالعيد الفضى وهذا المشهد تجرى حوادثه قبل الاحتفال ببضعة أسابيع وفى احدى الأمسيات يجلس كل من فريد وليلى يقرآن .

فريد : هل تعرفين ان الشهر القادم يصادف مرور العيدالفضى لزواجنا ؟

ليلى : طبعا يا عزيزى لم أكن أتذكر ذلك ... ولكن يسرنى أنك تذكرت هذا .. على الرغم من مشاغلك الكثيرة ومن ضعف ذاكرتك .. انه جميل منك ألا تنسى هذا ..

فريد : كيف أنسى اليوم الذى فتح لى أبواب السعادة ؟

ليلى : هل تعنى ما تقول ؟ هل كنت سعيدا حقا ؟ ألا تأسف على شيء ففى بعض الأحيان كنت أتصور أن حياتك كان من الممكن أن تكون أيسر لو أنك لم تتزوج لأنك كنت ستظل انسانا حرا متفرغا لعملك بدلا من أن تحمل أعباء عائلة ثم كان فى استطاعتك أن تبقى مع كل النساء اللاتى يردنك .

فريد : أعوذ بالله ولكن ماذا سأعمل بهن جميعا ؟ انهن ملأن نفسى بالملل .

ليلى : وربما كان ذلك جميلا .

فريد : وأنت أيضا يا عزيزتى . انك اليوم أجمل مما كنت عندما تزوجنا . فالشعر الأبيض يناسبك . ووجهك أكثر حيوية وفيك هدوء ونضج كان ينقصك عندما كنت

شابة ، وأنت معقولة ومتزنة ولا تصبغين شعرك كما فعلت شريفة وبدرية .. ان الشعر الفضى يناسب جدا العيد الفضى ..

نيـلى : حقا ؟ ما زلت أعجبك .. ؟

فـريد : تماما ودائما انك الشخص الوحيد فى العالم الذى أشعر معه بالراحة . فأعجب ما فى الزواج أننا نعرف كل شيء عن بعضنا البعض فليس بيننا أسرار وليس لدينا ما نخفيه .. ولا مبرر للادعاء .. وقد حمل كل منا درعه فى حياته قبل الزواج . ولكن مع هذه الحياة الزوجية ليس الانسان فى حاجة الى أن يضع درعا على صدره ولله الحمد ثم هذه الراحة التى ننعم بها .

ليـلى : ولكن أليس مملا ومتكررا أن يعيش الانسان مع نفس المرأة كل هذه المدة ؟ اننى لم أجدها كذلك لأنى أحب الحياة المتكررة اننى أحب كل ما تعودت عليه .. أن تكون أنت الى جوارى .. أن أقرأ الـكتب التى تعجبنى .. أن أستمع الى أغنياتى المفضلة فأنا لا أطلب أكثر من هذا ... ولكن أعرف أننى بليدة وعلى يقين من أننى لا بد قد ملأت حياتك بالملل فى بعض الأحيان وأعتقد أننى بعد هذا كله ليس لدى ما أقوله .

فـريد : يا عزيزتى ما هذا الكلام الفارغ الذى تقولينه بل لديك الكثير والآن قولى لى بحق ، هل كانت بيننا مناقشة جافة سخيفة ؟

ليــلى : أبدا . أنا لا أذكر أننى أحسست بالملل منك يوما واحدا فى الخمسة والعشرين عاما الماضية . بل على العكس فقد كنت أحس بالملل مع الآخرين وأحس أنى لا أجد ما أقوله لهم لأن هناك تنافرا بين الناس .. أما معك فاننى أفكر بصوت مرتفع ..

فــريد : من قال هذه العبارة ؟

ليــلى : أنت يا حبيبى هل ترى كيف أردد أفكارك .. ربما كان هذا السبب فى أنك لا ترانى بليدة غبية .. لأن وراءنا خمسة وعشرين عاما من الذكريات المتبادلة ما أكثر ما جربنـا معا الحب والولادة والموت والصـداقة والفشل والنجاح ..

فــريد : وهذه الرابطة الضعيفة التى توجـد بيننا قد ظلت ممسكة بنا طول الوقت .

ليــلى : وكادت تنقطع مرة واحدة عندما عدت من السويد وقد أحببت امرأة أخرى لقد جننت بها ..

فــريد : لا تتحدثى عن ذلك اليوم فقد مات ونسيته ولم أعد أفكر فيها أبدا ..

ليــلى : انى أفكر فيها من حين الى حين وأحب أن أتكلم عنها ما دام كل شىء قد انتهى انها دلورس هذه التى بسببها قويت الرابطة بيننا فعندما هددتك بأن أتركك وقلت لك انه يجب عليك أن تختار بينها وبينى فاخترتنى وعرفت منذ ذلك اليوم أننى أعنى شيئا بالنسبة لك .. وكان

ذلك درسا لى أيضا فقد كنت أعتبر حبك لى قضية مسلما بها ولم أكن أبذل أى جهد فى اقناعك واسعادك ولكن دلورس هذه جعلتنى أتأكد من أن الزواج يحتاج الى جهد .. انه مباراة يجب أن أشترك فيها وأن أفوز فيها كل صباح .

فـريد : وكل مساء أنت على حق يا عزيزتى وأعتقد أننا لم نخسر كثيرا والآن ماذا سنعمل فى هذا العيد الفضى ؟ أعتقد أنه يجب أن ندعو العائلة وكل أصدقائنا وستكون هناك الخطب المألوفة والشمبانيا وماذا تحبين أن أقدم لك كهدية ؟

ليـلى : ماذا أطلب ؟ لقد أعطيتنى كل ما أريد ..

فـريد : اننى جاد قولى لى ماذا تريدين .. ؟

ليـلى : وأنا جادة أيضا لا أريد شيئا أنت تعرف ذوقى أكثر منى أنا شخصيا .. فأنت عندما تدعونى الى الغداء فى مطعم فما تطلبه لنفسك هو ما أطلبه أنا أيضا .. ولكننى يا عزيزى أعرف مالا أريده فى هذا العيد الفضى وذلك هو الجمهور .. لا داعى لأن .. ندعو أحـدا على الاطلاق .. اننى أحب أن أقضى اليوم كله معك .. وهذا أمر سهل فستكون أنت فى أجازة أننى أعرف .. لنرجع الى المكان الذى بدأت فيه سعادتنا .

فـريد : فكرة رائعة . سنعود الى القرية التى تزوجنا فيها .

والى البيت الصغير الذى وضعت فيه الخاتم فى أصبعك .. يا الهى .. كم ارتجفت فى ذلك اليوم ..

نيـلى : وأنا أيضا ولكن بسعادة ثم نسير خطوة خطوة فى كل شهر العسل . وسنعيش فى ذلك الفندق المضحك كما كنا هناك منذ ٢٥ عاما ..

فـريد : دون أن نكون فى خوف أو فى حالة عصبية هذه المرة ..

نيـلى : ولكنى سأحس بذلك الشعور شعورى بأننى أتوقع شيئا .. هل تذكر تلك الطفلة الصغيرة التى تعزف موسيقى حبيبى الأسمر لن أنسى نغمتها أبدا .. اننى أتذكرها أحيانا على أنها لحننا المميز .. بل اننى اشتريت الاسطوانة وأديرها عندما أكون وحدى .

فـريد : ولماذا لاتديرينها عندما أكون معك ...

نيـلى : لأن هذه ذكريات قديمة جدا .. وأنا أخشى أن تتصورنى خيالية الى هذه الدرجة .

فـريد : بل يجب أن يكون الانسان كذلك يا عزيزتى ضعى الاسطوانة فى البيك آب .

« الاسطوانة تدور وتنطلق منها انغام حبيبى الاسمر »

ليـلى : يا حبيبى « وتتنهد » .. بل أتمنى أن أكون فى الفندق الآن ..

فـريد : بعد شهر سنكون هناك ..

ليـلى : وهذا هو الذى يعجبنى فى الزواج .. انه أمن مستمر..

ففى استطاعة الانسان أن تكون له مشروعات وأن يقول : فى شهر كذا وكذا .. فاذا فرضت أنك عشيقى لا زوجى فاننى أعرف ان كنت ستظل معى لمدة شهر آخر أو لا ؟

فـريد : من الذى قال أن شيئا واحدا يجعل الزواج ناجحا : انه يجمع بين أقصى اغراء واقصى منفعة ..

ليـلى : أنا لا أحب ذلك ..

فـريد : لأنك لست واقعية يا حبيبتى وهذه احدى فضائلنا .

ليـلى : هل تتذكر يوم عدنا معا الى البيت أيام الخطوبة وكان أبى يفتح الباب عندما قلت لى .. اذا لم يحضر الناس بسرعة فلست مسئولا عما يحدث ..

فـريد : لقد تأخرنا ياعزيزتى ولو مضينا هكذا تتحدث فلن أكون مسئولا عما يحدث .

ليـلى : « بدلال » ـ وهذا ما أتمناه ..

« موسيقىحبيبىالاسمر تعلو ثم تتلاشى رويدا رويدا.. »

* * *

الاستاذ : سيداتى وسادتى قبل أن نخرج جميعا أحب أن ألخص لكم هذا البحث .. فقد قال الشاعر بيرون ذات مرة : « انه أسهل لنا أن نموت من أجل المرأة التى نحبها من أن نعيش معها » وفى هذه العبارة بعض الصدق فالزواج يسبب لنا مشاكل صعبة كما رأينا فعنـدما

تتزوج يقسم الواحد منا أن يكون مخلصا فى حين أن الاخلاص بالنسبة للرجل كالقفص بالنسبة للنمر .. والزواج معنـاه ان اثنين من النـاس مختلفين فى أفكارهما ومشاعرهما سيشتركان معا فى نفس الحياة . فهل من الممكن أن نكسب هذه المباراة وأن نبقى مع ذلك سعداء على الرغم من الزواج ؟

هـذا هو السـؤال الذى طغى على هـذه المحاضرات وأكبر عقبة فى سبيل هذه السعادة تبدو من اختلاف مطالب الجنسين وقد حاولت أن أبين لكم ان هذه العقبة يمكن التغلب عليها اذا قبل الواحد منهما الآخر على ما هو عليه بكل عيوبه ، ونحن لا يجب أن نتوقع من هؤلاء الذين نحبهم أن يعيشوا وفقا لمثلنا العليا ، وانما يجب أن نحاول أن نكيف مثلنا العليـا لتكون قريبة من الذبن نحبهم . والزوج العاقل هو الذى لا يتوقع من زوجته أن تكون لها صفات الرجل ولا أن تكون كالصورة الحالمة الخيالية التى كانت تراوده أيام كان شابا مراهقا وانما على العكس من ذلك يجب عليه أن يقدر مزاياها وشخصيتها والزوجة العاقلة لا يجب أن تشكو من الرجل الذى تزوجته وانما يجب أن تعمل على فهمه وأن تتحمل أخطاءه وعلى هذا النحو تستطيع أن تغيره . ومزايا الزواج عن أية علاقة أخرى

هو أنه يهيىء الفرصة لكل من الزوجين ليتوافق الواحد منهما مع الآخر .. وعندما تكون الرغبة الجنسية هى العلاقة الوحيدة بين الرجل والمرأة ينتهى كل شىء بعد أول شجار بينهما . انهما ينفصلان وليست أمامهما الا فرصة صغيرة لتستمر هذه العلاقة وفى الزواج السعيد يتحول الحب الى صداقة وتصبح كل علاقة قوية لأنها تنبع من القلب والجسم والعقل .

وقد كتب المفكر الفرنسى لاروشفوكو : « هناك زيجات طيبة ولكن القليل منها ممتع » وانا أرجو أن أكون قد أطلعتكم على أن هذا الجيل فى استطاعته أن يحقق بل يجب ـ الزواج الممتع . وكما يقول شكسبير وموليير وبومارشيه أن الحب يبدأ بشىء من الغزل والملاطفة ولكن عندما ينتهى بالزواج يبدأ الخلاف والشقاء . ويصبح الزوج المحب عربيدا أو غيورا متطرفا وتصبح الزوجة لعوبا أو شرسة وفى هذه المحاضرات كنا نحاول أن نمد بين هذين الزوجين العلاقة التى تبقى مدى الحياة وجوليت الحديثة هى زميلة روميو وصديقته والكلام بينهما أقل شاعرية ولكن هذه الغراميات لها جمالها الخاص وكما يحدث بين اثنين من الموسيقيين يعزفان فى انسجام تام الى أن تنتهى المقطوعة . كذلك الزواج السعيد الذى يؤدى الى شيخوخة راضية . هل ستحققون مثل هذا الزواج ؟

ان هذا يتوقف عليكم وعليكم وحـدكم وقبل أن تنصرفوا دعونى أذكركم بعبارة قالها الأديب الفرنسى « ألان » عن التمنيـات الطيبة فى الزواج : سواء اخترت أن تتزوج ، أو اقتنعت بذلك فان الحقيقة تبقى وهى أنه عليك أن تمضى حيـاتك فى أعظم مودة مع شخص لا تعرفه حقا لأن مرحلة الحب الأول لا تدلك على شيء .. وامض فى طريقك وواجه الموقف بدلا من الانتظار وكل شيء له أهمية صعب . وأن تعيش سعيدا مع انسان هذا عبء ثقيل ويحتاج الى النية الطيبة من الطرفين . ويجب أن تريد الحب وأن تكون محبوبا حتى بعد عشرين عاما » .

وهكذا فى الحب كما فى كل ما يتعلق بالانسان نجد أن السعادة هى نوع من التصميم وفى كل محاضرة من المحاضرات الماضية ظهر لنا فريد وليلى فى مفترق الطرق فى حياتهما الزوجية وفى كل مرة أمامهما أحد أمرين وفشلهما ونجاحهما يتوقف على القرار الذى يتخذانه. سيداتى وسادتى ستجدون أنفسكم فى وقت قريب فى نفس مفارق الطرق فاختاروا الاخلاص دائما .. فهذا هو الطريق الأكيد نحو السعادة ...

« موسيقى زفة العروسة على البيانو »

* * *

أنيس منصور

المحتويات